2 me Année, No 45. — Lundi-: 4-5-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ م	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم (٤٢٣٩٠
                ٤٠٥٣٠)

العـــدد ٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين أول صفر سنة ١٣٥٣ — ١٤ مايو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

٨٠١ قطع العقدة أسهل من حلها : احمد حسن الزيات
٨٠٣ الخيال الطارق : الدكتور طه حسين
٨٠٥ سبيل الخلاص من الامتيازات الاجنبية : الدكتور عبد الرزاق السنهوري
٨٠٩ مقياس الرقى : الاستاذ احمد أمين
٨١١ تطور الحوادث فى الجزيرة : الاستاذ محمد عبد الله عنان
٨١٥ مختار : الدكتور سامي كمال
٨١٦ السوفسطائيون : الاستاذ زكى نجيب محمود
٨١٩ بين المعرى وداتى : محمود الخفرى
٨٢١ فى القاهرة : الآنسة فلك طرزى
٨٢٢ بديع الزمان الهمذانى : الدكتور عبد الوهاب عزام
٨٢٥ الارملة (قصيدة) : الاستاذ خليل هنداوي
٨٢٦ ما سر الكون ؟ قصيدة : على احمد باكثير
٨٢٧ مشروع زواج : محمد روحى فيصل
٨٢٩ الدوق دى لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق
٨٣١ يسألونك عن الأهلة : الدكتور احمد زكى
٨٣٤ البلبل والزهرة « قصة » لاسكار وايلد : ترجمة الاستاذ محمود الخفيف
٨٣٧ حول الجوع أيضا : (نقد) المازنى

قطع العقدة أسهل من حلها

كان الموروث غفر الله له مهلوس العصب ، أرعن اليد ، ألكن اللسان ، أخرق السياسة ، فابتلاه الله بالحرب حتى قلّ ، وبالدّين حتى ذلّ ، وبالرشوة حتى فشل . ثم عصفت به ريح المنون فحطمت جذعه وأذرت هشيمه ، وتبدد فى مهب العوادى تراثه المشتهى ، واستقرت على أعناق أبنائه وأوليائه أثقاله وأغلاله وديونه .

فاما الترك الخلّص البواسل فبتروا من خلفهم ذلك الذيل الطويل ، ثم انطلقوا خفافا الى المجد وراء كمال ، وأما العرب الاقحاح الميامين فألقوا من فوقهم ذلك الحمل الثقيل ، ثم مضوا سراعا الى الملك وراء فيصل ، وأما نحن — وترابتنا الى المرحوم وما ترك قرابة كلالة — فقد نالنا من عهوده الجزية ، ومن قيوده الامتيازات ، ورأينا فى نصوص القوانين ما يثبت القلوب المنخوبة على الحق ، وفى سوابق الدول ما يشجع النفوس الهيوبة على الاقدام ، وفى سوانح الفرص ما يذكّر الرقاب المغلولة بالعتق ، ولكن الشعب الذى قسا عليه القدر

فمحا من ذهنه الفروق بين التواضع والضعة ، وبين الوداعة والذل ، وبين المجاملة والملق ، وبين الكرامة والتساهل ، وبين الضيافة والاحتلال ، لا يستطيع أن يفهم من القانون الا نص الواجب ، ولا من (السابقة) الا معنى الجرأة ، ولا من الفرصة الا خلاف الحزم .

* * *

حررت الأمم رقاب العبيد ، واحترم السادة ارادة الخدم ، ومنحت الدول طغام الشعوب كرامة الوطن ، وبرىء الأسير الأبيض من معرة التفريق ووصمة التميز ، اللهم إلا نحن فى مصر ، وإلا الزنوج فى امريكا !

وما الفرق بالله بين الزنجى والمصرى اذا كان كلاهما قد حرم الاخاء فى المجتمع ، والمساواة فى القانون ، والحرية فى الموطن ؟ وهل الامتيازات الاحكم قائم بانحطاطنا عن الأمم التى مينزاها فى الجنسية والعقلية والمدنية والتربية ؟ فالأوربى اذا اعتقد انك دونه فى القدر والحق والخلق تمرّى عليك وانتفى منك ، كان واضح العذر ما دمت تعترف بهذا النظام الذى يجعل قضاءه أعلى من قضائك ، ولغته أفضل من لغتك ، وشأنه ارفع من شأنك

أنه يعرف أن لك على الأقل أن تلغى المحاكم المختلطة من ذات نفسك ، فلا ترى بعدها من يظلم قضاتك على منصة العدل ، ويحتقر لغتك تحت راية الدولة ، ويهين رجالك فى دست الحكومة ، ولكنه يراك تهمل حقك حتى يموت ، وتغفل واجبك حتى يفوت ، وتنفق من كرامتك على المجاملة واللطف حتى تنفد ، فجعل نزولك عن مقامه تقليدا لا ينهض فى وجهه أدب ، وعرفا لا يقوم بسبيله قانون

* * *

ان الامتيازات الاجنبية شر ما ممنيت به هذه الأمة من علل الفساد وأسباب الوهن . فان وجودها يوهم الأوربى انه فاضل بالحق ، ويشعر المصرى انه مفضول بالطبيعة ؛ فيمعن هذا فى هضم نفسه وبذل مقادته ، بمقدار ما يمعن ذلك فى تصغير خده وتجاوز حده ، ويجرى الأمر بين الرجلين مجرى الطبع والعادة ، فلا يندم الأول على اساءة ، ولا يألم الثانى من غضاضة !

وما يجره على الأمة هذه الآفة من قتل الرجولة فى النفوس ، وكسر النخوة فى الرءوس ، لا يدفعه إلى باب العواطف بعظمة الآباء وحماسة الشعراء وطموح المدرسة ، فما ظنك اذا خلا التاريخ من روح الوطنية ، والشعر من ادب القومية ، والمدرسة من رفع الخلق

ان اخبث الأدواء ما خامر الجسم فسلبه القدرة على الفكر فيه بغية الخلاص منه .

ولقد جنت الامتيازات على أخلاقنا جناية العبودية على أخلاق العبيد ! فنحن نجبن امام الاهانة ، ونكذب أمام الخوف ، ونخنع أمام القوة ، ويقعد بنا اتهام الكفاية عن المنافسة ، حتى خلت ميادين العمل للاجانب فتحكموا تحكم الارباب ، وتصرفوا تصرف السادة ، وعاشروا بالشر على خير هذا البلد ، وأنضجوا شواءهم فى حريق اهله !

كل أولئك ونحن نضرع للسفيه ان يحلم ، وللخصم أن يحكم ، وللقوى أن يستكين ، ثم نحاول أن نتحاكم الى المعاهدات ، ونتفاهم بالمفاوضات ، كأنما انقلبت حملة الغرب على الشرق دعوة الى سبيل المدنية وتقدم الانسانية على هدى السلام والعدل !

كلا ياسادة ! ان علاج المسموم بالعزائم مزاح مع الداء لا تؤمن عاقبته ، وان قتل الحية اهون من تربيضها ، وان قطع العقدة أسهل من حلها ، وان المتنبي ما كان يجهل الناس حين قال :

انما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شيء غلابا ... واقتسارا لم يلتمسه سؤالا

الخيـــال الطارق

الدكتور طه حسين

أقبل صاحبي وجه النهار مرتاعا حائل اللون ، شاحب الوجه ، حائر الطرف ، طائر اللب ، كأنما ألم به طائف من الجن فروعه ترويعا ، وأخرجه عن ذلك الطور الهادىء الرزين الذي كنت اعرفه منه اذا لقيته فتحدثت اليه ، واستمعت لاحاديثه المطمئنة العذبة الخصبة .

أقبل مرتاعا لا يكاد يبين اذا تحدث أو هم بالحديث ، بل لا يكاد يستقر في مجلس ، بل لا يكاد يمسك جسمه من رعدة كانت تلم به من حين الى حين فتهزه هزا عنيفا ، وتذكر بقول ذلك الشاعر القديم وانى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

وأشهد لقد انفقت كثيرا من الجهد ، واصطنعت فنونا من الحيلة ، لارده الى ما الفت فيه من دعة وأمن وهدوء ، ولقد افقدت في تلك الساعة بعض هؤلاء الشيوخ الذين يتلون العزائم والرقى ، بعد ان أخفقت أو كدت اخفق فيما كنت احاول من رده الى الوقار والصواب . ولكني ظفرت آخر الامر بما كنت احاول ، واستطعت أن أتحدث الى صاحبي ، وأن اسأله عن مصدر هذا الاضطراب العنيف الذي اصابه وما عرقه عرضة لاضطراب يصيب العقل أو يصيب الجسم . قال وهو ذاهل أو كالذاهل : إثم هذا على ابى العلاء ايها الصديق ، فلولا انى نظرت في كتاب من كتبه آخر الليل ، لأذود به هذا الارق الذي الح على الحاحا لما أصابني ما ترى ، بل لما أصابني مالم تر من تلك الأهوال التي ألمت بي ، واصطلحت على حتى نفرتني من داري وأزعجتني عن أهلي ، ودفعتني اليك في هذه الساعة التي لم أتعود أن اسعى فيها اليك . وثق بانى قد خرجت من داري معتزما ألا أعود اليها ، وقد أمرت أهلي أن يلتمسوا لنا دارا أخرى ، وأزمعت الرحلة عن القاهرة اياما ، حتى اذا تم لهم ما اريد من التحول عن هذه الدار الموبوءة ، عدت اليهم في دارنا الجديدة ، لعلي أن أجد فيها ما انا في حاجة اليه من الدعة وراحة البال . قلت ما أراك الا مريضا تحمل مرضك على أبي العلاء وتكلفه من ذلك ما لم يقترف ، وتكلف أهلك من آثار هذا المرض شططا . ومع انى لم أعرف بعد هذه الأهوال التي ألمت بك فازعجتك عن دارك ودفعتك الى ما تحاول من فراق القاهرة . فلست أرى بأسا بهذا الرحيل فقد طال مقامك في مدينتنا ، وقد احتملت من الجهد والعناء في عملك ما يضنى الأصحاء الأقوياء ، فكيف برجل عليل ضئيل مثلك ، فارحل مصاحبا ولكن حدثني بما ألم بك من الهول ؟ قال مصدره رسالة الغفران ياسيدى ، فليت أبا العلاء لم يكتب رسالة الغفران ، قلت لا تقل هذا ولا تكن أثرا ، فان لغيرك في رسالة الغفران لذة ومتاعا ، واذا كانت قد سلطت عليك الهول الذي لم أعرفه بعد ، فانها قد أتاحت لقوم آخرين في الشرق والغرب من الشهرة وبعد الصوت ما لم يسلط عليهم هولا من الأهوال ، ولم يغرهم خطبا من الخطوب . ولكن هات حديثك . قال : ما أشك في ان أبا العلاء كان مجنونا حين كتب هـــذه الرسالة . قلت رب جنون خير من العقل ، ولكن هات حديثك . قال : أتذكر هذا السخف الذي أغرق فيه إغراقا حين ذكر هذين البيتين القديمين من شعر النمر بن تولب :

ألم يصحبني وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شاءت وحواري بسمن

قلت هذا من خير ما في الرسالة ، وأى بأس عليه من أن يفترض أن الشاعر قـــد وضع مكان حصن في البيت الأول اسما آخر كجزء أو حفص أو عمرو ، ثم يلائم بين هذا الاسم وبين القافية في البيت الثاني ، فهذا نوع من العبث المباح الذي لا يسوء أحدا ، وهو مع ذلك يدرب الذاكرة ويظهر شيئا من المقدرة اللغوية التي يحرص العلماء والأدباء على اظهارها . قال أنت الذي يزعم أن هذا العبث لا يسوء أحدا ، وما رأيك في أنه قد سادني وجشمني ما رأيت وما لم تر من الاهوال والخطوب . فقد أراد سوء الحظ أن أنظر في هذا الكتاب ، وان أقف عند هذا العبث ، فأفكر في هذه الخيالات التي كانت تطرق المحبـــين والشعراء منهم بنوع خاص ، والتي كانت اذا طرقت هؤلاء الشعراء اطلقتهم بما تعرف وما لا تعرف من رائع الشعر وبارع الكلام . وأغرقت في هذا التفكير وجعلت استعين بالذاكرة على استحضار شيء من الشعر القديم الذي قاله الشعراء في الخيال الطارق والطيف الملم . ثم جعلت اسخر من ابي العلاء ومن جفاء طبعه وخشونة مزاجه ، وجعلت ارثي لأم حصن هذه التي عبث الشاعر بها هذا العبث

فلم يترك اسمها حيث وضعه النمر بن تولب ، وانما حذفه واخذ يضع مكانه اسماء اخرى بعدد حروف المعجم ، ولو أنه كان رقيق القلب دقيق الحس ممتاز الشعور رقيقا بالغانيات لما ازعج ام حصن عن مكانها ، ولما اقلقها عن موضعها ، ولكنه رجل غليظ لا علم له بالحب ، ولا حـــظ له من الرقة ، ولا معرفة له بحسن معاشرة النساء .

وانى لفى ذلك وإذا أنا احس كأن الأرض تدور تحت قدمى ، وكأن كل شىء يضطرب من حولى ، ولا أكاد التفت الى ذلك وافكر فيه حتى يهدأ من حولى كل شىء ، واذا شخص جبل قد قام منى غير بعيد ، وهو ينظر الى نظرة عطف ، وعلى وجهه غشاء من كآبة حلوة ، وعلى ثغره ابتسامة كأنها ابتسامة الرضى ، ولكنى لاأعرف شيئا أصدق منها تصويرا للحزن والاسى ، وتمثيلا للوعة والحسرة ، ولست أدرى كيف لم يرعنى مقام هذا الشخص الجميل ، فلم أظهر فزعا ولا اضطرابا ، وانما انست اليه وحققت النظر فيه فتبينت فتاة غضة الشباب رائعة الجمال ، لولا أن شبابها يوشك أن يكون وهما ، ولولا ان جمالها يوشك ان يكون خيالا ، تبينت شخصا حيا متحركا نضيرا ، ولكنه على ذلك لا يخلو من شىء يشبه الموت ، ومن شىء يشبه السكون ، ومن شىء يشبه الذبول . وهو على هذا كله يذكرنى بشخص كنت آلفه ويألفنى ، وكنت أكبره ويكبرنى ، وقد فقدته منذ حين ، فجزعت عليه جزعا شديداً ، وكثيرا ما سألت نفسى اتراها قد ذكرتنى قبل أن تلج باب الموت .

وانى لأنظر الى هذا الشخص الماثل ، وان هذه الخواطر لتمر امام نفسى وادعة كأنها السحاب الرقيق ، واذا انا اسمع صوتا رقيقا خافتا حلوا يسعى الى سعيا خفيا من ناحية هذا الشخص الماثل غير بعيد . واذا هذا الصوت يحمل الى تحية عذبة هى التى كنت اسمعها من صديقتى حين كنت القاها وجه النهار ، وما اكثر ما كنت القاها وجه النهار . اصبح بخير ياسيدى .

فأجيب اصبحى بخير ياســـيدتى . انك تعرفنى أو تكاد تعرفنى ، انك تذكرتى وتسال نفســـك الآن كما كنت تسألها من قبل ، اذ ذكرتك حين فارقت الحياة وودعت الاحياء ، نعم ياسيدى قد ذكرتك والحت فى ذكرك ، وكلفت من يقرأ تحيتى عليك ، ولولا الحياء لكلفت من يدعوك لزيارتى قبل ان اموت ولكنى لم افعل ، ولم يعرض على ذلك احد من الذين كانوا يحيطون بسرير الموت ، على انى لست آسفة فانى لم اخسر شيئا ، لأنى لم افارق احدا ممن كنت احب لقاءهم فى تلك الحياة ، انما انا اراهم وأسمع بينهم واتحدث الى نفوسهم وأسمع منها ، وكل ما فقدته انما هى هذه الاصوات التى كنت اسمعها ، وهذه الايدى التى كنت اصافحها . وثق بأنها لاتعدل شيئا حين اقيسها الى ما اسمع الآن من احاديث الضمائر ونجوى النفوس . وما كنت لأتراءى لك الآن لولا انك اغرقت فى ذكر الخيال واستحضار الخيالات . ولست اخفى عليك انى كنت اريد حين تراءيت لك ان اداعبك بعض الشىء ، فلا تظن ان الدعابة مقصورة على الاحياء ، فقد يأخذ الموتى من الدعابة بنصيب ايضا . كنت اريد ان اتراءى لك على انى ام حصن صاحبة النمر بن تولب ، وان اشكر لك عطفك على ورقتك بى ولومك لابى العلاء . ولكنى لم استطع ان اخدعك لأنى لم اتعود خداعك اثناء الحياة . ثم لأنى انما اقبلت الى هذا المكان لألقى فى روعك رسالة كنت اريد ان تبلغها عنى ، وكنت اريد ان القيها اليك كما تلقى الرسائل الى الناس فى الاحلام ، ولكنى رأيتك يقظان تنظر فى هذا الكتاب فانتظرت لعل النوم ان يسعى اليك ، ثم رأيتك تذكر الخيال وتستحضر الاطياف فتراءيت لك ، وهل انا الاخيال او طيف ؟ لا تطل النظر إلى ولا تقل شيئا فان نظر الاحياء يؤذينى ، وان اصوات الاحياء تثقل على ، ولكن اسمع منى ولتحـــدث نفسك الى اذا لم يكن لك بد من حديث ، وانى لأعلم انك تريد ان تسألنى كيف اتحدث اليك بصوت يشبه صوت الاحياء ، واشفق مع ذلك من سماع صوتك فانا لا اتحدث اليك بصوت يستطيع غيرك ان يسمعه ، انما انت الذى يمنح هذا الصوت قوته وتشخيصه ، ولو ان فى هذه الغرفة قوما غيرك لما رأوا من شخصى ما ترى ، ولما سمعوا من صوتى ما تسمع ، ولكن اصغ الى فانى أحس مقدم النهار ، وانى أكره هذا الضوء الذى يغمر الكون حين تشرق الشمس ، والذى كنت أحبه أشـــد الحب اثناء الحياة ، والذى لم احزن على شىء حزنى على فراقه قبل أن أموت ، والذى لم اتسل عن شىء كما تسليت عنه الآن .

اصغ الى فانى أريد أن القى اليك رسالتى ، وان أنصرف عنك

(البقية على صفحة ٨٤٠)

سبيل الخلاص
من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري
الأستاذ بكلية الحقوق

— ١ —

قد لا يكون هذا الموضوع الذى أعالجه وثيق الاتصال بالموضوعات الأدبية والعلمية التى اعتاد كتاب الرسالة أن يطالعوا بها قراءها. ولكنى مع ذلك لا أتردد فى أن أرسل بمقالى هذا إلى الرسالة. فان مسألة الامتيازات الأجنبية أصبحت فى هذه الأيام من أكبر المسائل خطرا وأشدها تعقداً. والرسالة تتسع جوانبها لكل مسألة تشغل الرأى العام.

وما لى أن أعالج الامتيازات الاجنبية من نواحيها المألوفة: الامتيازات جائرة، لا يتفق أصلها التاريخى مع حقيقتها الواقعة، لا يصح أن تستسيغها امة لها حظ من الكرامة، لا يجوز التوانى عن المطالبة بالغائها، بل هى قد سقطت بتغير الظروف طبقا لمبادىء القانون الدولى المعروفة. كل هذا أصبح معروفا مستقراً فى الأذهان. وإنما يعنينى أن أتلمس سبيلا عمليا إلى التخلص من هذه الامتيازات.

وإنه ليبدو لى ضروريا أن تكون للحكومة المصرية خطة مرسومة للتخلص من الامتيازات الأجنبية. أما ترك الأمر للظروف فليس بمنتج شيئا ولا يتفق مع ما لمسألة الامتيازات من الخطر فى حياة الأمة. وعندى أن هذه المسألة لا تقل فى الاهمية عن مسألة الاحتلال الانجليزى للبلاد. فالتخلص من الاحتلال مع بقاء الامتيازات لا يفيد كثيراً، إذ تبقى مقيدين فى أهم مقدمات السيادة الداخلية للدولة. التشريع والقضاء والادارة - فلا يصح إذن فى مسألة لها هذه الاهمية أن نترك أنفسنا تسوقنا المصادفات وتسيطر علينا الحوادث. ولقد شاءت المصادفة أن يتنحى رئيس إحدى الدوائر فى محكمة مصر المختلطة عن نظر إحدى القضايا، فترتب على هذا التنحى هذه الأزمة الحالية التى لا نزال نخوض غمارها وإنى لأخشى، ونحن نعتمد على المصادفات، أن تنصرف عن هذه المسألة الحيوية بمجرد انتهاء المناسبات التى دعت إلى الاشتغال بها. فكم سبق هذه الازمة أزمات شغلت الرأى العام قليلا أو كثيرا، ثم مالبث أن انصرف عنها، ولم يعد يذكرها، حتى تعوده المصادفة المحضة للعودة اليها. ثم إنى لأخشى أن تقتصر الحكومة المصرية فى معالجة هذه المسألة الخطيرة، على ناحية أو ناحيتين منها، مكتفية بما ساقته المصادفات أمامها من المشاكل، فتفاوض فى رياسة الدوائر أو فى مسألة اللغة العربية، أو فى غير ذلك من المسائل التفصيلية. وما هذه وغيرها إلا أعراض لمرض مستحكم، لا تجدى فيه معالجة الأعراض دون استئصال موطن الداء. يجب أن يكون للحكومة المصرية خطة شاملة عامة لمعالجة مسألة الامتيازات فى مجموعها. وهذا ما جعلنى أدلى برأيى فى هذا الموضوع الخطير، وأدعو رجال القانون إلى الادلاء بآرائهم، حتى تتمحص الآراء، فترتسم أمامنا الخطة العملية لتخليص البلاد من هذه النكبة.

لا يجوز أن ننسى أن مسألة الامتيازات لها جانب سياسى غير جانبها القانونى. وقد يكون هذا الجانب السياسى هو أشد الجانبين استعصاء على الحل. وكل محاولة ترمى إلى إيجاد حل عادل للمسألة، ولا تبدأ بمعالجتها من جانبها السياسى، مقضى عليها بالفشل. انجلترا تزعم لنفسها حق حماية المصالح الأجنبية فى مصر. وقد تقدمت بهذه الدعوى فى مشروع ملنر، وفى تصريح ٢٨ فبراير، وفى مشروع كيرزون، وفى كل المشروعات التى تلته. وقد كانت تفرع على هذه الدعوى دعوى أخرى لا تقل عنها انتقاصا لسيادة البلاد: كانت تطلب أن تأخذ من مصر تفويضا تتولى بمقتضاه مفاوضة الدول ذوات الامتيازات. ثم نزلت عن هذه الدعوى عند المفاوضات التى دارت مع المرحوم ثروت باشا. ويظهر أنها أخذت تفكر أخيرا فى الرجوع ثانية الى هذه الدعوى.

فهناك أمران يجب الاحتراز منهما فى أية محاولة تقدم عليها لحل مشكلة الامتيازات: (أولا) ألا نعطى لانجلترا سبيلا لمفاوضة الدول ذوات الامتيازات. فان المعاهدات التى تقوم عليها الامتيازات الأجنبية قد ورثنا بعضها عن تركيا وعقدنا البعض الآخر مع الدول. فقيام انجلترا بالمفاوضة ليس معناه الا تسليما منا بدعواها حماية المصالح الأجنبية. وإلا فان الوضع الطبيعى للمسألة يقتضى الا يكون تعديل هذه المعاهدات أو إلغاؤها إلا

بمعاهدات تكون مصر طرفا فيها . ولا يمنع هذا من تلمس معونة انجلترا ووساطتها الودية فى المفاوضات التى تقوم بها الحكومة المصرية مع الدول ، والفرق كبير بين أن تبذل انجلترا وساطتها لتأييد جهودنا وبين أن تكون هى الطرف المفاوض . (ثانيا) أن تلقى بنا رغبتنا الملحة فى التخلص من الامتيازات فيما هو أشد خطرا منها . فادامت انجلترا على دعواها من حماية المصالح الأجنبية ، فان أى حل توافق عليه يكون من شأنه تأييد هذه الدعوى وتدعيمها . فالواجب إذن أن ننظر فى المسألة من أساسها ، وأن نقدم معالجة دعوى انجلترا فى حماية المصالح الأجنبية على معالجة الامتيازات ، ولا نحاول الثانية قبل أن ننتهى من الأولى . وإلا فان التسليم لانجلترا بحماية الاجانب فى مصر انتقاص خطير من سيادة البلاد ، وفتح الباب لتدخل الانجليز فى شؤوننا الداخلية .

نرى مما تقدم أن المساعى التى تبذلها مصر فى إلغاء الامتيازات الأجنبية يجب أن تكون مسبوقة بتفاهم تام مع انجلترا ، على أن تعديل هذه الامتيازات أو إلغاءها لا يكون الا على أساس أن تسترد مصر حقوق سيادتها التى انتقصت منها هذه الامتيازات ؛ لا أن تنتقل هذه الحقوق الى انجلترا . فاذا تم هذا التفاهم ، سواء أكان ذلك فى مفاوضات عامة شاملة لحل المسألة المصرية فى مجموعها ، أم فى مفاوضات خاصة بهذه المسألة إذا لم يتهيأ السبيل لمفاوضات عامة . يمكن بعد ذلك تلمس السبيل العملى للوصول الى إلغاء الامتيازات .

ونحن نقترح سبيلا عمليا يكون سيرنا فيه مقرونا بالحكمة ، فلا نتخذ تدبيرا إلا اذا دعت اليه الضرورة . نحاول اولا التفاهم مع الدول ذوات الامتيازات أنفسها على تعديل النظام الحالى للامتيازات ، فقد أصبح هذا النظام يصطدم مع الكرامة والعدالة والمصلحة . فان لم تفلح عرضنا على انجلترا ان تؤيدنا فى الغاء الامتيازات باعلان يصدر من جانبنا ، بشرط ألا نجعل من هذا التأييد وسيلة لتثبيت دعواها فى حماية المصالح الأجنبية ؛ فان لم نفلح أخذنا على أنفسنا مسئولية إلغاء المحاكم المختلطة والغاء الامتيازات معاً ، أو الاقتصار على إلغاء النظام الأول دون الثانى . ونفترض فى كل هذا أن الشعب المصرى يؤيد الحكومة التى تتولى اتخاذ هذه التدابير ، إذ لا يجوز لأية حكومة مصرية لا تحوز ثقة الشعب أن تقدم على الغاء الامتيازات ؛ فان الاقدام على هذا الأمر الخطير يقتضى ان يكون للحكومة سند من الشعب ، والحكومة التى تفقد هذا السند ليس أمامها الا أن ترتمى فى أحضان انجلترا ، فتجر على البلاد نكبة أشد وبالا من نكبة الامتيازات .

وهانحن أولاء نفصل ما أجملناه ، ونقسم السير فى الطريق الذى نقترحه الى خطوات :

الخطوة الاولى

تستصدر الحكومة المصرية مرسوما بالغاء المحاكم المختلطة طبقا لقانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢١ . وتنشر هذا المرسوم فى الجريدة الرسمية ، حتى يكون الالغاء نافذا بعد سنة من نشره

الخطوة الثانية

بعد نشر هذا المرسوم تدعو الحكومة المصرية الدول ذوات الامتيازات الى الدخول معها فى مفاوضات بشأن تنظيم الحالة التى ستجد عقب إلغاء المحاكم المختلطة

ونحن نشدد فى استصدار المرسوم بالغاء المحاكم المختلطة ونشره قبل الدخول فى مفاوضات مع الدول ، لأن هذا هو السبيل لاقناع هذه الدول بأن الحكومة المصرية ومن ورائها الأمة تؤيدها ، قد عقدت العزم على السير فى طريقها ، ولو لم تؤد المفاوضات الى اتفاق ، وان مصير المحاكم المختلطة قد أصبح محتوما ، فلا مناص من إلغاء هذه المحاكم مهما كانت نتيجة المفاوضة . وفى هذا معنى خطير لا يفوت الدول ، ولا يمكن إلا أن يكون مؤثرا فى سير المفاوضات .

وتكون الدعوة الى المفاوضة مصحوبة بمذكرة تبين فيها الحكومة المصرية الأسس التى تقترحها لاقامة النظام الجديد الذى يعقب إلغاء المحاكم المختلطة :

وفى رأينا أن تكون هذه الأسس مبنية على دعائم ثلاث : (أولا) ايجاد محاكم جديدة تحل محل المحاكم المختلطة ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا من حيث تقوية العنصر المصرى فيها ، فهى ستكون محاكم مصرية قانونا وعملا ، (ثانيا) استرداد ما فقدته الدولة المصرية من حقوقها التى لا تأباها عليها نفس الامتيازات حسب وضعها الأصلى ، كحقها فى سن تشريعات عقارية ولوائح بوليس تسرى على الاجانب دون موافقة الدول . واسترداد الحقوق التى انكرتها عليها المحاكم المختلطة الحالية من طريق التوسع فى تفسير

اختصاصها توسعا لايسيغه المنطق القانونى الصحيح . ثم استرداد الحقوق التى انكرتها المحاكم المختلطة ، لا من طريق التوسع فى التفسير ، بل من طريق خرق التقاليد القضائية أو النصوص القانونية الصريحة . فان المحاكم المختلطة ، وهى بمعقل الامتيازات الاجنبية فى مصر قد عملت على تقوية الامتيازات من هذه الطرق المختلفة . توسعت فى تفسير النصوص فحملتها مالا تحتمله ، كما فعلت فى نظرية الصالح المختلط وفى تفسير معنى الاجنبى . ثم خرقت التقاليد القضائية بانكارها على القاضى المصرى أن يتولى رياسة دائرة هو أقدم أعضائها ، دون أن يكون هناك فى القانون مايمنعه من ذلك . ولجأت أخيراً الى انكار النصوص الصريحة ، كما فعلت عندما أنكرت على اللغة العربية أن تكون لغة رسمية تنطق بها الاحكام ويجرى بها التقاضى .

(ثالثا) توقيت النظام الجديد الذى يحل محل النظام القديم ، حتى يتهيأ لمصر فى الوقت المناسب أن تتخلص من هذا النظام الجديد أيضا كما تخلصت من النظام الذى سبقه ، ولا يكون فى البلاد الا نظام واحد فى التشريع والقضاء يسرى على جميع سكان مصر .

وتطبيقا لذلك نرى أن تدعو الحكومة المصرية الدول لعقد معاهدة يكون من حق الحكومة المصرية إنهاؤها بأعلان يصدر من جانبها بعد سنة من تاريخ نشر هذا الاعلان . وفى حالة إنهاء المعاهدة لايعود النظام الحالى للمحاكم المختلطة بل يعتبر هذا النظام قد الغى بصفة نهائية . وتتناول المعاهدة جوانب ثلاثة : التشريع والقضاء والادارة

١ — التشريع

ينص فى المعاهدة على أن التشريع المصرى يكون نافذا على الاجانب ، بما فيه التشريع المالى ، اذا مضى ثلاثون يوما من عرض هذا التشريع على الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة الجديدة (وستبين تشكيلها فيما بعد) دون أن تقدم هذه الجمعية اعتراضا على التشريع المذكور . ولا يجوز الاعتراض على أى تشريع مصرى الا اذا كان هذا التشريع يتضمن مبادىء تتنافى مع المبادىء العامة التى يقرها العالم المتمدين فى التشريع تنافيا يخل بالعدالة . وتبين الجمعية العمومية المسائل التى لاحظت فيها هذا التنافى . فاذا اقتنعت الحكومة المصرية بوجهة نظر الجمعية العمومية لا يكون التشريع نافذا على الاجانب ذوى الامتياز ، وإن لم تقتنع كان لها أن ترفع الأمر الى محكمة لاهاى . أما فيما يتعلق بالتشريع المالى فلا يجوز الجمعية العمومية أن تعترض على ضريبة تفرض إلا اذا أخلت بالمساواة فيما بين الاجانب ، أو فيما بينهم وبين المصريين ، عدا الضرائب الخاصة بالأجانب التى يكون لها نظير فى البلاد المتمدينة . ولا يعتبر إخلالا بالمساواة أن تفرض ضريبة على جميع السكان ، حتى لو تبين أن عبء هذه الضريبة يقع على عاتق الأجانب أكثر مما يثقل كاهل المصريين ، بسبب أنها تتناول أعمالا يغلب فيها العنصر الأجنبى كالشركات . واذا اعترضت الجمعية العمومية على تشريع مالى لانه لا يحقق المساواة المطلوبة ، كان للحكومة المصرية أن ترفع الأمر الى محكمة لاهاى . ويستثنى من الاحكام المتقدمة ما يأتى :

(١) أى تشريع يعدل أو يلغى حكما من أحكام هذه المعاهدة ، فهذا لا يكون نافذا على الاجانب ذوى الامتياز الا بعد الاتفاق مع دولهم على ذلك

(٢) التشريع الخاص بعقار ، بما فيه الضرائب العقارية ، فهذا يكون نافذا على الأجانب دون حاجة الى عرضه على الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة

(٣) لوائح البوليس التى تفرض عقوبة لاتزيد على عقوبة المخالفة ، وهذه أيضا تكون نافذة دون حاجة الى عرضها على الجمعية العمومية . وغنى عن البيان أن التشريعات التى تطبقها المحاكم المختلطة الحالية (كالتقنينات الستة المعروفة) تعتبر تشريعات نافذة دون حاجة الى عرضها على الجمعية العمومية ، إلا إذا رأت الحكومة المصرية تعديل هذه التشريعات (وستظهر ضرورة ذلك بنوع خاص فى القانون الجنائى وقانون الاجراءات الجنائية وعند تنقيح القانون المدنى) ، ففى هذه الحالة تعرض التعديلات التى يراد ادخالها على الجمعية العمومية على النحو الذى بيناه فيما تقدم .

هذه هى المقترحات الخاصة بالتشريع ، ونتولى الآن تبريرها . فهى قسمان : قسم أقرته انجلترا فى المقترحات التى عرضتها على مصر عند ما دارت المفاوضات المختلفة بين الدولتين . (١) وقد ورد ذكر

---

(١) بحثنا هذه المقترحات بحثا مستفيضا فى المقدمة التى وضعناها لكتاب « الامتيازات الاجنبية » لمؤلفه الاستاذ محمد عبد الباقى (لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٠)

ذلك فى المذكرة البريطانية المتعلقة بالامتيازات فى المفاوضات التى دارت بين المستر هندرسون ومحمد محمود باشا إذ جاء فيها ما يأتى : « وسأكون مستعداً للاتفاق على أن تقوم الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة فى المستقبل بابداء كل موافقة لازمة لتطبيق التشريع المصرى ، ومن ضمنه التشريع المالى ، على الأجانب ، الا فى حالة التشريع الخاص بتشكيل المحاكم المختلطة وتحديد اختصاصاتها ، فانه لاينفذ الا بموافقة الدول عليه . ويكون على الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة أن تثبت من أن التشريع المشار اليه لا يناقض المبادئ التى يجرى العمل بموجبها عادة فى التشريع الحديث الذى يسرى على الاجانب . وأنه فيما يتعلق بوجه خاص بأى تشريع ذى صفة مالية لايوجد تمييز غير عادل ضد الأجانب بما فيهم الشركات الاجنبية » (انظر الكتاب الأخضر الخاص بهذه المفاوضات ص ١٠) . ومن هذا يتبين أننا لم نأت بجديد الا فى شىء واحد . فالمذكرة البريطانية تشترط موافقة الجمعية العمومية على كل تشريع مصرى يراد سريانه على الاجانب ، أما نحن فنكتفى بعدم اعتراض هذه الجمعية على التشريع المقدم اليها . والفرق مابين الأمرين ظاهر ، ففى الحالة الأولى يجب ان تكون هناك أغلبية توافق على التشريع حتى يسرى على الاجانب ، أما فى الحالة الثانية فيجب ان تكون هناك أغلبية تعترض على التشريع حتى لايسرى على الاجانب ، فاذا انقسمت الجمعية فى أمر تشريع الى فريقين متساويين فى العدد ، لم يسر التشريع على الأجانب فى الحالة الأولى وسرى فى الحالة الثانية . ولايخفى ماهذا الأمر من الأهمية إذا لوحظ أن نصف أعضاء الجمعية العمومية يجب ان يكون من المصريين كما سنبين ذلك فيما يلى . أما فيما يتعلق برفع الأمر الى محكمة لاهاى ، فهذا هو المبدأ الذى تقرر فى المفاوضات التى دارت بين انجلترا ومصر .

والقسم الثانى من هذه المقترحات جديد ، وهو خاص بالتشريع العقارى وبلوائح البوليس . هذه تشريعات نريد ان نسترد فيها حقوق مصر الضائعة . فان للشرع المصرى حتى بمقتضى الامتيازات الأجنبية ، الحق فى أن يسن قوانين تسرى على الاجانب ، دون حاجة لموافقة الدول أو لموافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة ، إذا كانت هذه القوانين خاصة بالعقارات فى مصر ، سواء أكانت هذه القوانين مالية (أى تفرض ضريبة عقارية) أم غير مالية . وذلك أن الاجانب لم يسمح لهم قانوناً بتملك عقار فى مصر إلا على أساس الفرمان العثمانى الصادر فى سنة ١٨٦٧ ، وقد اشترط هذا الفرمان فى تملك الاجنبى للعقار ان يخضع للقوانين واللوائح التى يخضع لها الرعايا العثمانيون ، وان يدفع جميع التكاليف والضرائب التى تجبى أو يمكن أن تجبى فى المستقبل على العقارات فى المدن أو فى القرى ، تحت اى شكل كانت ، وبأى اسم سميت . فمن حق مصر ان تسترد هذا الحق الضائع ، فان اغتصابه منا خرق للامتيازات الأجنبية نفسها التى يحتج بها الاجانب علينا (١) وكذلك الأمر فى لوائح البوليس ، فقد كان لمصر سن هذه اللوائح ، وكانت تسرى على الاجانب قبل وجود المحاكم المختلطة نفسها . وتأيد هذا الحق بنص المادة العاشرة من القانون المدنى المختلط ، وبنص المادتين ٣٣١ و ٣٤٠ من القانون الجنائى المختلط (٢)

(تتمة البحث فى العدد القادم) عبد الرزاق السنهورى

---

(١) وقد كان من الممكن أن تستملك مصر بحقها فى فرض أية ضريبة ، عقارية على الاجانب ، دون الرجوع الى الجمعية العمومية مادامت الضريبة غير مجحفة . فان الامتيازات الاجنبية لا تأبى علينا هذا الحق ، لأن الاجانب لم يعفوا بموجب هذه الامتيازات من الضرائب التى يشاركون فيها مع الاهالى ، بل من الضرائب التى ينفردون بها وحدهم ، كالجزية التى تجبى من غير المسلمين (أنظر مقدمة كتاب « الامتيازات الاجنبية » المشار اليها ص ٤٣)

(٢) أنظر كتاب الاستاذ لامبا (Lamba) فى الحالة القانونية للاجانب فى مصر . باريس سنة ١٨٩٦ ص ٢١٢ — ص ٢٢٨ .

الامتيازات الاجنبية

للاستاذ محمد عبد البارى

وهو بحث علمى قيم فى أصل الامتيازات الاجنبية وعلاقاتها بمصر ومناقشتها من الوجهة القانونية والاجتماعية والاقتصادية فى أسلوب سهل يفهمه جمهور القراء

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشا

مقيـــاس الرقى

للأستاذ أحمد امين

سألني أديب سوري ، بمناسبة مقال كتبته عنوانه «المسلمون أمس واليوم» :

بم نعـــد أمة أرقى من أمة ، وما العوامل التي نحسبها ونقيس بها الرقى ؟ وفي الامة الواحـدة - اذا سئلنا أكانت بالامس خيراً منها اليوم ، أم هي اليوم خيرٌ منها أمس . فأي النواحي نرعاها عند النظر ؟

والحق أنها أسئلة في منتهى الصعوبة ، يحار المجيب عنها أي العوامل يحسب وأيها يترك ، وأيها لها قيمـــة كبيرة الأثر وأيها ضعيف الاثر ؟

قد يجيب مجيب اجابة سهلة من طرف اللســـان فيقول « مقياس الرقى في الامم الاخلاق » فأرقى الامم أحسنها خلقا ولكن هذه الاجابة لا تقنع ، فالاخلاق متغيرة ، وكل عصر له أخلاق يتطلبها وواجبات ينشدها ، وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها ، أصبح واجباً علينا أن نعلم أولادنا في المدارس ، وما كان ذلك واجبا من قبل انما كان تبرعا من الاب ، وأصبح واجبا علينا ترقية الوطن من جهات متعددة وما كان ذلك واجبا من قبل ، وان كان واجبا فواجب غامض ليس محدود المعنى ولا معين الاتجاه ، وكان آباؤنا يعدون من أرقى الاخلاق في الامة حجاب نسائها وبناء سورتين بين الرجل والمرأة ، فأصبحنا نرى الواجب أن تتعلم المرأة كما يتعلم الرجل ، ومن حقها أن تسمع المحاضرات مع الرجل ، وأن تتمتع بالحياة البريئة كما يتمتع الرجل ، فاذا قلنا مقياس الرقى الاخلاق كانت كلمة عامة تدل على كل شيء ولا تدل على شيء .

وقوم يقيسون الرقى بالدين ، وهي كذلك كلمة عامة يختلف مدلولها باختلاف أنظار الناس فيضيق عنـــد بعض الناس حتى لا يسع الا الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويتسع عند بعض الناس حتى يشمل كل شيء .

وفي الحق أن هناك مناحي للحياة مختلفة متعددة يجب أن ينظر اليها كلها لتقويم الرقى - ففي كل أمة مجموعة من المرافق ، يعد كل مرفق منها كالخلية في الجسم الحي : من حكومة وتعليم ولغة ودين وأسرة ونظام اقتصادي ونحو ذلك ، كلها تتغير وكلها ترقى أو تنحط ، وكلها في حركة مستمرة دائمـا إما الى الامام وإما الى الخلف . وكلها تتفاعل تفاعلا قويا ، يؤثر قويها في ضعيفها ، وضعيفها في قويها - وهذا التغير الدائم في كل هذه المرافق هو مقياس الرقى والانحطاط ، فان كان تغـــيراً الى سمو فرقى ، وان كان تغيراً الى تدهور فانحطاط

وحسبان هذا ليس بالأمر اليسير ، فقد تتدهور بعض المرافق لاسباب خاصة ، وتسمو بعض المرافق لأسباب كذلك ، ثم تتفاعل عوامل الضعف والقوة فينشأ من ذلك عملية حسابية من أصعب المسائل حلا . والمثل الأعلى للأمة أن يكون كل مرفق من مرافقها الاجتماعية يؤدي عمله خير اداء ، ويتنقل في سمو أبدا ، وأن يكون سيره ورقيه في حالة ملائمة ومناسبة لسائر المرافق الاجتماعية ، لا يطفر عنها ولا يقعد بها - فالامة التي تختار أحسن النظم في التربية والتعليم ولا تساعدها اللغة على المصطلحات الحديثة لاترقى في التربية والتعليم حتى تحل مشكلتها اللغوية ، والأمة التي تختار أحسن النظريات الفقهية وخير النظم القضائية ، ثم لا يعينها على ذلك حالة الاسر الاخلاقية وحالة المعاملات بين الافراد لا يمكن أن ترقى بنظرياتها الفقهية من الناحية القضائية ، والأمة التي تسن أرقى أنواع الاصلاحات الاجتماعية ثم لا تعينها الناحية الاقتصادية تصبح واصلاحاتها تسر القاريء ولا تسر الناظر وهكذا .

* * *

وهناك دلائل قوية تدل الباحث على رقى الامة وتدهورها وسيرها الى الامام أو الى الخلف ، إما بمقارنتها بغيرها من الامم في نواح معينة أو بمقارنتها بنفسها في عصرها الحاضر

وعصرها السابق ، والمقارنة الاولى تدلنا على الدرجة التى تقف عليها الأمة فى سلم الرقى العام . والمقارنة الثانية تدلنا على اتجاه سيرها : الى فرق أو الى تحت

من أهم هذه الدلائل تعرف موقف الامة ازاء مايحيط بها من ظروف طبيعية واجتماعية : هل هذا الجيل أحسن استخداما لبيئته وما يحيط به ؟ هل استطاع أن يوجد منابع لثروته وسعادته أكثر مما استطاع أسلافه ؟ هل استخدم المنابع القديمة خيرا مما استخدمها آباؤه ؟ هل كان فى حله لما يعرض له من المشاكل الاجتماعية والطبيعية أكثر توفيقا ؟ لما عرضت هذه المصاعب أو أمثالها لنا ولآبائنا كيف حلوها وكيف حللناها ، ومامنهجهم فى الحل وما منهجنا ؟ مامقدار تضامن الافراد يومذاك فى التغلب عليها ، وما مقدار تضامننا اليوم ؟ لكل أمة مقدار من الثروة ، فهل زادت ؟ وهل استطاعت اليوم أن تسعد بثروتها أكثر مما كانت تسعد بها من قبل ؟ هل استخدمت العلم أحسن مما استخدمه آباؤها فقلت الوفيات وتحسنت صحتها ، وجمل منظرها ، ونظفت عيشتها ، وأصبح نيل القوت أسهل وأيسر حتى تفرغ كثير من أبنائها وبناتها للعلم والفن والأدب ؟ أظن ان هذه الاسئلة متى حددت بهذا الشكل لم تكن الأجابة عليها عسيرة ، وبذلك نستعين على تعيين الاتجاه ومقدار الرقى ان كان .

***

ومن ناحية أخرى ، ربما عد من أكبر دلائل الرقى فى الأمة « تذليل العقبات امام الكفايات » فخير الأمم من أفسحت السبيل أمام أفرادها ليرقوا كما يشاؤون حسب استعدادهم وجدهم ، فى التعلم ، فى الوظائف ، فى النواحى السياسية والاجتماعية — وقد قطعت الأمم المتمدنة فى ذلك خطوات واسعة ، فازالت احتكار الارستقراطية للمناصب العليا ، وسهلت وسائل التعلم لمن شاء ، واعتمدت فى تقدير الاشخاص على مزاياهم لا على بيئتهم — الى درجة كبيرة — وحاربت « المحسوبية »

والنزعات الارستقراطية ، وقضت على النظام الاقطاعى الذى يميز بين الطبقات ، ويضع حدا فاصلا بينها لا يمكن تخطيه ووضعت النظم الاقتصادية الحديثة ، وفيها يمكن كل فرد بذكائه ومواهبه ان يصل إلى ما يستطيع من رقى — وان كانوا هم أنفسهم يصرحون بأنهم لم يبلغوا الغاية فى ذلك ، وأن أمامهم عقبات شاقة ومسافات طويلة يجب ان يقطعوها حتى يسهل على كل فرد تحقيق غايته وبلوغ شأوه

***

وربما كان كذلك من أهم دلائل الرقى النظر الى ثروة الأمة ومقدار مايصرف منها على « الصالح العام » من مدارس ومصانع ومساجد ومتنزهات وحدائق وماء وانارة ونحو ذلك ولست أعنى النظر الى كمية مايصرف فحسب ، ولكن أعنى أيضا كيفية الصرف ، وهل انفق هذا القدر فى أحسن السبل وهل هناك وجه آخر خير منه ؟ . كذلك لست أعنى ماينفق فى ذلك من ميزانية الحكومة فقط ، ولكن اعنى أيضا مقدار شعور الافراد فى هذا الباب ومقدار مايتبرعون به من أموالهم لهذا الصالح العام ، فليست ثروة الأمة مقصورة على ميزانية الحكومة ولكنها تشمل ثروة الأفراد « وفى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » فالأمة التى لايشعر أغنياؤها بواجب فى أموالهم لفقرائها ، أو يشعرون شعورا ضعيفا لا يقوى على استخراج المال من جيوبهم ، أمة منحطة اذا قيست بغيرها من الأمم التى كثرت فيها المدارس والاندية والمستشفيات والجمعيات الخيرية من مال أغنيائها

ومما يتصل بهذا الأمر ، النظر فى ميزانية الأسر فى الأمة وكيف تنفق ، فأمة خير من أمة اذا عرفت أسرها كيف توازن بين دخلها وخرجها ، وكيف تفرق بين الضرورى والكمالى وما ليس بضرورى ولا كمالى ، ولم تسمح لنفسها أن تصرف فى الكمالى حتى تستوفى الضرورى ، ولا فى غير الضرورى والكمالى — حتى تستوفى الكمالى ، فذلك — من غير شك — يجعل الأسر أسعد

حالا ، وأهدأ بالا ، وأكثر استعدادا للرقى ، وهل الأمة الا مجموعة من الاسر ؟ وهل رقى الامة الا حاصل جمع رقى الاسر ، وكما أن أسرة قد تكون اسعد من أسرة مع ان دخلها أقل وثروتها أضعف ، ولكن عقلها أكبر ، وتصريفها لمالها أدق ، فكذلك الأمم ليس خيرها أغناها ، ولكن خيرها من عرفت كيف تستخدم مالها وأحاطت املاكها بوسائل اجتماعية ، وكمية كبيرة من الاصلاح تجعل مالها يتضاعف فى القيمة وان لم يتضاعف فى العدد . فكم من الأمم لها ثروة كبيرة طبيعية ولكن لم تعرف كيف تستخدمها ولا حزا منها ، ولو حلت محلها أمة أخرى لصيرت صحراءها بستانا وجبالها جنانا ، ولجعلت ترابها ذهبا وأرضها عجبا

ومن أجل هذا لم يخطىء كثيراً من حسر مقياس رقى الامة فى مقدار تغلبها على طبيعة بلادها وتعديل نفسها حسب ما يحيط بها — لانها لا تصل الى ذلك الا بمقدار كبير من العلوم الطبيعية يمكنها من الانتفاع بارضها وجوها وبقدر وافر من العلوم الاقتصادية يبين لها كيف تستغل منابعها ، وبمقدار صالح من النظم السياسية والاجتماعية والاخلاقية يهيىء للافراد سبل الانتفاع بما حولهم ويعدهم خير اعداد للنظر فى مصالحهم .

فليتساءل الشرقى فى ضوء هذا : أين هو فى نفسه ، وأين هو فى أمته ، وأين أمته فى العالم ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الاولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير اجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

الحرب فى بلاد العرب

تطور الحوادث فى الجزيرة

وصداه فى الأفق الدولى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أسفرت المعارك التى نشبت فى الاسبوعين الأخيرين فى هضاب عسير وتهامة بين القوات السعودية والقوات اليمانية عن نتائج خطيرة حاسمة فيما يظهر ؛ فقد استطاعت القوات السعودية أن تتوغل فى نجران وفى عسير بسرعة مدهشة ، وأن تستولى على منطقة واسعة فى شمال اليمن تشمل عسيراً ونجران وجميع الجهات والمواقع التى كانت موضع النزاع بين البلدين ، وأن تتقدم بعد ذلك فى أراضى اليمن ذاتها بمحاذاة البحر الأحمر حتى ثغر الحديدة ، وهو أهم الثغور اليمانية ، وأن تستولى عليه بعد أن فرت منه قوات الامام التى كان يقودها ولده وولى عهده سيف الاسلام . وقد كنا نؤمل حين كتبنا مقالنا الأول عن هـــذه الحرب التى تضطرم بها الجزيرة العربية ، أن يكون لصوت العالم العربى والاسلامى أثره فى تدارك هذا الخلاف الخطر ، وفى وقف المعارك قبل استفحالها . وقد رفع العالم الاسلامى صوته قوياً بمناشدة الزعيمين أن يتذرعا بالروية والحسنى فى حسم النزاع القائم بينهما ، وسافر الى مكة وفد عربى إسلامى يمثل عدة من الأمم العربية لتحقيق هذا المسعى . ولكن الظاهر أن سير الحوادث لم يفسح مجالا للتفاهم الحسن بين الملكين ؛ وقد كان جلالة ابن السعود يشترط لوقف القتال شروطاً يراها لازمة لسلامة حدوده وسلام مملكته ، وهى جلاء القوات اليمانية عن نجران ومواقعها الجبلية ، وإطلاق الرهائن ، وتسليم الادارسة ؛ ولكن سيادة الامام يحيى لبث حيناً يتردد بين القبول والاعتراض ؛ وحدث فى تلك الفترة أيضاً أن تقدمت القوات اليمانية فى نجران وعسير واحتلت مواقع جديدة ؛ وأيقن ابن السعود بعد طول المكاتبة والمفاوضة أن الامام لا يريد اتفاقا ولا يسلم بشىء من مطالبه . ويبدو من مراجعة الكتاب الرسمى الأخضر الذى أذاعه

الحكومة السعودية عن سير المفاوضات والمكاتبات بين الملكين أن ابن السعود تذرع بكثير من الروية والأناة فى محاولة إقناع الامام باحترام المعاهدات المعقودة والحالة الواقعة . وتدل وثائق الكتاب الأخضر أيضاً على أن عوامل التحريض كانت تعمل عملها فى عسير ونجران لدفع قبائلهما الى الثورة على عمال الحكومة السعودية وأصدقائها . إزاء هذه العوامل والظروف لم ير ابن السعود بدأ من الالتجاء إلى القوة المادية ؛ فزحفت القوات السعودية فى نجران وتهامة صوب الجنوب ، واستولت على جميع مواقعهما وانتهت كما تقدم بالاستيلاء على ثغر الحديدة ، وانهارت فى الحال كل التدابير التى اتخذها الامام للحرب والدفاع ، وأضحت اليمن تحت رحمة القوات السعودية التى تطوقها من الشمال والغرب .

وتطور الحرب بين ابن السعود والامام على هذا النحو يثير احتمالات ومسائل فى منتهى الخطورة ، سواء فى داخل الجزيرة العربية او خارجها ، ولاسيما اذا استمرت القوات السعودية فى زحفها على اليمن وانتهت بالاستيلاء عليها . ذلك أن ابن السعود الذى يسيطر على قلب الجزيرة العربية من الاحساء وعمان شرقا الى ساحل البحر الاحمر غربا ، ومن بادية العراق وشرق الاردن شمالا حتى الربع الخالى جنوبا ، يغدو باستيلائه على اليمن سيد الجزيرة المطلق ، والمسيطر على الساحل الشرقى للبحر الاحمر كله من العقبة حتى مضيق باب المندب . وقيام امبراطورية عربية قوية على هذا النحو تشمل نجدا والحجاز واليمن مما يثير اهتمام السياسة البريطانية ومخاوفها . وقد كان تقدم المملكة السعودية فى الاعوام الاخيرة موضع اهتمامها دائما . ذلك أن المملكة السعودية تجاور مناطق النفوذ البريطانى والاملاك البريطانية فى جميع انحاء الجزيرة العربية ؛ فهى تجاور عمان والكويت من الشرق ، والعراق وفلسطين وشرق الاردن من الشمال ، واذا تم ضم اليمن اليها ، فانها تجاور عدن وحضرموت من الجنوب . وعلائق ابن السعود مع بريطانيا العظمى ودية حسنة . وقد نظمت منذ سنة ١٩٢٢ بمعاهدة المحمرة ثم ببروتوكول العقير . بل إن علائق الصداقة بين ابن السعود وبريطانيا ترجع الى ما قبل عشرين عاما ، اعنى الى ما قبل الحرب الكبرى . وكان ابن السعود يومئذ اميرا محليا ، فرأى فى اتصاله بالسياسة البريطانية وسيلة لتحقيق مشروعاته ؛ وحالف بريطانيا العظمى على الترك ، ولزم الحياد أثناء الحرب رغم بعده

لها . وافتتح فى ذلك الحين منطقة شمر فى شمال نجد وانتزعها من يد خصمه ومنافسه ابن الرشيد ، وبدأت امارة نجد تتخذ مكانها واهميتها فى شئون الجزيرة العربية . وفى سنة ١٩٢٤ غزا ابن السعود الحجاز واستولى عليها من يد الحسين بن على ملكها يومئذ ، وامتدت حدود نجد حتى ساحل البحر الاحمر ، وقامت من ذلك الحين مملكة نجد والحجاز القوية ، واعترفت بقيامها الدول وفى مقدمتها بريطانيا العظمى . وكانت السياسة البريطانية خلال هذه المراحل كلها ترى فى ابن السعود صديقا لها ؛ ولم يشب هذه العلائق الودية شىء من الكدر الا فى سنة ١٩٢٨ إذ اغارت بعض القبائل النجدية على حدود العراق ، ونشب الخلاف بين الفريقين على مسألة مخافر الحدود ؛ ثم سوى الخلاف وعاد التفاهم بين الفريقين .

ولكن المملكة السعودية قد غدت فى الجزيرة العربية قوة يخشى بأسها ، وهى تدلل اليوم على قوتها مرة أخرى بذلك الغزو السريع لنجران وتهامة ، ثم شمال اليمن واستيلائها على ثغور جديدة على البحر الأحمر ، وقد لا تقف القوات السعودية فى زحفها حتى يتم استيلاؤها على بلاد اليمن كلها ، وتغدو اليمن كالحجاز ولاية جديدة فى المملكة السعودية الكبرى : واجتماع الأمم العربية داخل الجزيرة تحت هذا اللواء القوى يثير روحاً جديداً فى القضية العربية ويقوى فكرة الجامعة العربية ، ويحيى الآمال فى تحقيقها . والسياسة البريطانية لا تنظر إلى هذه التطورات بعين الارتياح لانها تزيد فى متاعبها حيثما تبسط سلطانها على أطراف الجزيرة العربية ، والسياسة الفرنسية التى تسهر على مصاير سوريا

تخشى أن يثير هذا الروح المعنوى الجديد فى الوطنية السورية قوة جديدة ، ويزيد فى متاعبها فى سوريا . هذا ومن جهة أخرى فان السياسة الايطالية ترقب تطور الحوادث فى اليمن بمنتهى الاهتمام والجزع أيضا . وللسياسة الايطالية فى اليمن مركز خاص ، ولايطاليا فى اليمن مطامع لا تخفى . وقد نظمت العلائق من سنة ١٩٢٨ بين الامام يحيى وايطاليا وعقدت بينهما معاهدة تجارية اقتصادية ، وأخذت ايطاليا من ذلك الحين تعمل بكل الوسائل على تقوية نفوذها فى اليمن ؛ والسياسة الايطالية لم تكن بعيدة عن موقف الامام فى الحوادث الأخيرة ولم تكن بعيدة عن شد أزره بالمال والرجال والذخائر فى الحرب التى ستنشب بينه وبين ابن السعود . ثم يجب ألا ننسى أن مستعمرة أريتريا الايطالية تقع تجاه اليمن على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، فاستيلاء ابن السعود على اليمن يقضى على مشاريع السياسة الايطالية فى اليمن ، ويجعل ساحل المستعمرة الايطالية عرضة لأخطار جديدة ، ويضع حدا للتوسع الايطالى فى تلك المنطقة .

والسياسة البريطانية تقف اليوم موقف التريث والانتظار ؛ ولكن فى اجتماع السفير الانكليزى فى جده بابن السعود ، حسبما نقلت الينا الانباء الاخيرة ، ومحادثته إياه فى الاحتمالات التى نشأت عن انتصار الجيوش السعودية ، وعما اذا كانت تنوى التقدم بعد فى قلب اليمن — فى ذلك ما ينم عن اهتمام السياسة البريطانية بتطور الحوادث على هذا النحو ؛ وربما عن قلقها أيضا . ذلك لأن اليمن تجاور منطقة عدن البريطانية وتشرف عليها من الشمال والغرب ؛ ولعدن أهمية حربية خاصة فهى مفتاح باب البحر الاحمر من الجنوب ، ومفترق الطريق الامبراطورى البحرى الى الهند والشرق الاقصى ؛ فوقوع اليمن فى يد زعيم قوى كابن السعود قد يهدد مركز بريطانيا فى عدن ، أو فى بعض ولاياتها المحمية المجاورة لليمن ، وهى التى كانت منذ بعيد موضع خلاف بين الامام والانكليز ، ثم سوى منذ أشهر بمعاهدة الصداقة البريطانية اليمنية . ومسألة المواصلات الامبراطورية من أدق مهام السياسة البريطانية .

***

بيد أنه إذا كانت السياسة البريطانية تقف موقف الانتظار والتحوط ازاء تطور الحوادث فى الجزيرة العربية . فليس هنالك على ما نعتقد ، ما يدعوها للتدخل المباشر فى سير هذه الحوادث . فعلائق ابن السعود وبريطانيا مازالت حسنة . والانكليز يثقون بابن السعود وصراحته وعهوده التى برهن فى فرص عديدة أنه يحترمها ويعمل على تنفيذها ، ولا نعتقد أن ابن السعود يفكر فى الوقت الحاضر على الاقل فى الاقدام على مناوأة سياسة بريطانيا أو مصالحها فى أية منطقة من المناطق التى تسيطر عليها فى أطراف الجزيرة ، لأن ابن السعود يحرص دائما على صداقة بريطانيا . وربما كان الانكليز يؤثرون دخول اليمن فى طاعة ابن السعود ، ويؤثرون سياسته القائمة على الحزم والصراحة وحسن التقدير ، على سياسة رجل كالامام يلقون من صلابته وتردده وعدم اعتباره بالحقائق الواقعة كثيرا من المتاعب فى عدن وولاياتها المشمولة بالحماية البريطانية . هذا الى أن ابن السعود قد صرح على لسان ممثله فى لندن أن يحترم الحقوق القائمة والمعاهدات المعقودة ويبذل وسعه لحماية أرواح الاجانب ومصالحهم فى البلاد التى تفتحها جيوشه ، ولا ريب أنه فى حالة استيلائه على اليمن سيحترم نصوص المعاهدة اليمنية البريطانية الأخيرة ، وسيحترم الحالة القائمة فى ولايات عدن المحمية ؛ ومن جهة أخرى فانه لن يفوت الانكليز أن يغتنموا فرصة انشغال الامام بغزو أراضيه فيعملوا على توسيع احتلالهم لتلك الولايات بما يطابق خططهم التى لبث الامام طويلا يقف فى سبيلها .

ليس هنالك اذا ما يخشى وقوعه من جانب السياسة البريطانية للتأثير فى مجرى الحوادث الحاضرة فى جزيرة العرب . وهذا ما تؤيده التصريحات الرسمية التى ادلى بها السير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم فى شأن حوادث الجزيرة العربية ، فهو يؤكد فيها أن بريطانيا العظمى ستقف ازاء هذه الحوادث موقف الحياد الدقيق وأن اجتماع السفير البريطانى بابن السعود لم يكن يقصد به الا التأكد من حماية المصالح البريطانية والرعايا البريطانيين فى الجهات التى تفتحها القوات السعودية . وهذا ما تؤيده أيضا الصحف الانكليزية وأقوال الكتاب السياسيين وتنويههم بحزم ابن السعود ومقدرته وصداقته لبريطانيا العظمى

أما السياسة الايطالية فهى على العكس تخشى تطورات الحوادث الحاضرة وترى فيها خطرا على مشاريعها ومصالحها حسبما بينا . وقد كان الامام صديق السياسة الايطالية ، وكانت ايطاليا تتمتع فى اليمن بمركز خاص تعلق عليه اهمية كبيرة لتنفيذ مشاريعها فى بلاد العرب ، فسقوط اليمن فى يد ابن السعود يقضى على هذه الآمال والمشاريع ، وقد ارسلت ايطاليا كما ارسلت انكلترا بعض

بوارجها الى مياه اليمن لحماية مصالحها . ولكن هل تذهب ايطاليا الى أبعد من ذلك فتحاول التدخل المباشر في سير الحوادث في اليمن ؟ من المعروف ان ايطاليا كانت تمد الامام بالاسلحة والذخائر والضباط الفنيين ، ولكن استيلاء القوات السعودية على الحديدة وساحل اليمن كله تقريبا يقفل هذا الباب في وجه ايطاليا ويقطع هذا العون عن الامام . ولسنا نعتقد ان إيطاليا تستطيع الاقدام على مثل هذه المغامرة في الظرف الحاضر ، فتحاول الدفاع عن اليمن والاشتباك مع القوات السعودية الغازية في حرب لا تؤمن عواقبها ، اولا لأن بريطانيا العظمى لا تستطيع السكوت على مثل هذا التدخل ولابد ان تقاومه بكل قواها ، وليس من اليسير ان تقدم ايطاليا على تحدى بريطانيا العظمى في مثل هذه الظروف التي يفيض فيها الأفق الدولي بالمشاكل الخطيرة ، وثانيا لأن ايطاليا تعلم من تجاربها القاسية في طرابلس ، ان الاعمال الحربية في الصحارى والهضاب ليست يسيرة على الجنود الاوربية ، وقد كانت هضاب اليمن مدى أجيال حصونا مغلقة في وجه الجيوش العثمانية المدربة على ارتياد الهضاب الوعرة ، ومن المرجح ان تلقى الجيوش السعودية ذاتها ، وهي جيوش الصحراء ، صعابا كبيرة قبل ان تستطيع الوصول الى صنعاء والاستيلاء على اليمن . واذا فكل مايمكن للسياسة الايطالية ان تقوم به في الوقت الحاضر ، هو أن تحاول المضي في خطتها من معاونة الامام بالاسلحة والذخائر والاموال

على أنه يبقى بعد ذلك كله ان نتساءل عما إذا كان ابن السعود يعتزم حقا ان يستولي على صنعاء وان يتم غزو اليمن . ان الجيوش السعودية تقف الآن عند الحديدة من جهة البحر ، وتطوق شمال اليمن ، وليس في الانباء الأخيرة ما يدل على انها ستتابع زحفها في الحال ، بل يرجح ان تنتظر حيناحتى تتم اهباتها وتقوى مؤخرتها وقديرى ابن السعود في تلك الاثناء ما يقنعه بالوقوف عند هـذا الحد من الظفر وارغام الامام على قبول شروطه ومطالبه ؛ وقد ينزل عند صوت العالم العربي والاسلامي فيقبل وقف الحرب والاتفاق مع الامام ، اذا رأى انه يستطيع بذلك اجتناء جميع الثمرات التي يخوله الظفر اجتناءها .

وسنرى في الاسابيع المقبلة ماتسفر عنه هذه التطورات الخطيرة في مصاير الجزيرة العربية .

محمد عبد الله عنان
المحامي

أقدم مكتبة في الشرق العربي

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها اكبر مجموعة للكتب الدينية والعربية

ترسل فهارسها لمن يطلبها ، ولها نشرات خاصة بالمطبوعات العصرية .

العنوان

مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

صندوق برستة الغورية رقم ٧١

مختـــار . . !

للدكتور سامى كمال

كان بالأمس ماردا ، قنوى اليوم راقدا . . . كان فلم يكن ولن يكون ، بعد ان أضاء على الانسانية جميعها بذلك النور الفنى الخالد .

لقد وصل ماضينا بحاضرنا و بمستقبلنا ايضا ، فكان الحلقة المتينة ، وملأ ذلك الفراغ الهائل المظلم القاتم الذى نام اثناءه ابو الهول ونام المصريون بجواره ، الى ان عادت اليهم الروح وثارت ثورتهم فهبط عليهم من السماء ، وكان قائداً لخيال ذلك الشعب ، وحقق أمله فى النبوغ . وأنهض ابا الهول بعد طول رقاده بجانب الفراعين الذين حققوا لربوعه الهدوء والدوم . ورمزوا به لقوة باسهم وشدة بطشهم ، ولم يحتاجوا بعد اليه وقد خضع الكل لسلطانهم فنام وملأ جفونه نوما ، الى ان شعر القوم باحتياجهم اليه فأنهضه مختار وجعله ينظر محدقا عازما شاهرا ما سوف يطلب منه اليوم وغدا

إن من لم يسمع لفظ فرعون من فيك يامختار لم يفقه من هو فرعون . . هو لفظ كنت تسوقه من شعورك العميق ينبىء بالقوة وبالجبروت

ومن لم يسمع منك لفظ الثورة التى قامت بهذا البلد الذى شعرت انك من ترابه او من التراب الذهبى لهؤلاء الفراعين ... من لم يسمعك تحدث عن الثورة بلفظها الذى كنت تنطق به فيصير تمثالا من صنع بصيرتك وحسك وقلبك الكبير ... ان من لم يسمعك لم يضطرب قلبه من هولها .

لم أرك يامختار الا وتلك الروح مخيمة عليك وظلت غذاءك ... وانت يامصر ، يا من تقفين بجانب القوة الناهضة ، انت الروح وابو الهول الجسد ، علام تنظرين ؟ ألى الشمس ام الى ابنائك ؟ ألى سلام ام الى حرب ؟

تخيلك على ضفاف السين وقلبه ينبض بحبك ـ تتمثل أجمل امرأة امام عينيه فلا يرى غيرك ، يطير بخياله اليك لانك الغاية . عاش ينشد حبك طول طريقه . هذا تقابك تحاولين فيه بيسراك حجب بعض الضوء ، لتحقق النظر وتعرف أسرار ماسياتى لك به القدر . . هذه الحركة المصرية الصميمة الشودة ستصدح مع الزمان . . .

تراك جميع المصريات فيتعرفنك ويعجبن ويفخرن ، لانك ترفعين الرأس الى السماء ، وتسفرين عن وجه لايدل على غير القوة واطمئنان الوصول الى الغاية التى تتطلبين الى ابنائك ، وعودك القوى هو هو ، صلب حار فيه اللب . . . أفنا أم كبرا أم مثالا يحتذى ؟ ام هو تراث من فخر مضى ؟ ...

كل من رآك يعرف أن قلبك قد من النورة ، وأن عينيك انفتحتا لهذا النور الذى كنت تتوقين اليه

هذه روحك يامختار تقرأها وسنقرأ كل يوم فيها جديدا ، و بعد آلاف السنين سيقرأون فيها جديدا .... ويطلب المصريون لك الرحمة حينما لايذكر من احياء اليوم الا القليل ..

ثم هادئا فقد أديت الرسالة

فن مختار ورسومه

أوجد مختار فنا خاصا وطبعه بطابع تكاد تتعرفه عندما تلقى بنظرك الى أية قطعة من قطعه البديعة التى خلفها ، ولتدرك ذلك الطابع تماما تصور ذلك الفنان القوى ، وقد نشأ فى قرية مصرية ، أفعم قلبه بحب الفلاحين ، وملأ عينيه من تلك التماثيل المصرية القديمة ، ثم من ذلك الفن المصرى فى جميع صوره ، وقد امتاز بالبساطة وجمال التنسيق وعدم الاكتراث بما يقع تحت الحس تماما ، غير ناظر الا الى الموضوع المطلوب تصويره فينتظم التصوير فى أسلوب واحد ، كان الجمال فيه لتلك الخطوط والمسطحات المنتظمة

أخذ الغربيون بذلك الفن عندما قاموا بتمثيل رموزهم العسكرية بعد الحرب العظمى ، فلا ترى الا مستويات لاتستوقف النظر ، إنما يحرض التمثال فكرك لتبحث فيه عن معنى ينبىء به

تلك كانت آية الفن عند قدماء المصريين ، فلما انتقل منهم الى اليونان فالرومان فالغرب أخيرا ، عمدوا الى تصوير الجمال كما يجب أن يكون فى الواقع لا فى الخيال ، فجمال المرأة أو الرجل صار تمثيلا لبعض النساء أو الرجال فعلا

وعند ما انتهت الحرب العظمى لم يرد الفنانون فى جميع العالم أن يتقيدوا بما كان نظاما وأسلوبا للفن فيما قبل الحرب ، وأخذوا يبحثون عن فن عصرى لم يستقر الى اليوم نظامه ، فانك ترى لهم فى كل يوم اتجاها وميلا .

اثناء تجاربهم هذه تطاير بعض الشرر الفنى من مقبرة

توت عنخ آمون ، فدققوا النظر من جديد فى ذلك الفن المصرى القديم ونحوا نحوه ، وصاروا لا يقفون فى التمثيل على ما يرون بعيونهم ، انما عمدوا الى الرمز فى النحت والتصوير لترسل مخيلتك فى البحث عما يرمزون ، فلا يقف نظرك على تفاصيل الجسم أو الرداء بل يلجئك الفنان الى البحث عما يريد من معنى ، وليس من السهل الوصول الى ما يريد والوقوف عليه . ويمتاز الفنان الماهر بأن يقدم لك ما تقرأ فيه كل يوم جديدا . ألم يحدثنا الصديق الدكتور طه حسين بأن هذا مانحا نحوه بعض شعراء الفرنسيين ؟ عاش مختار فى هـــذا الجو وأدرك سر الاقدمين المصريين ، فعمد بالمعاول الى رسم الطريق للمجددين ؛ وبعث من جديد فنا كان يشعر أنه يفيض من حبه لمصر ، فغنى على قيثارته (القاهرية) و (الفلاحة) و (بنت الشلال .)

أنظر الى تلك القاهرية تختال فى ردائها تجدها الملاك الطاهر فى حلم النائم لا تفتر تنظر اليها ، ولا يرتد نظرك عنها ، ثم تعاودك طيفا تحار فى فهم روحها ولا تجسر أن تبادرها بالسؤال .

أما بائعة الجبن فانك تراها فى صور الاقدمين ، لكنها لا تحمل شيئا بل ترمز الى الروح ، وهى رافعة ذراعيها على هـذا النمط . فقدها مختار من قطع بائعات الجبن جميعا ، فهى رقيقة حقا لكنه اعطاها الصلابة البرنزية وتركها للخلود ...

رأى مختار مثالا لشيخ البلد فى دار الآثار المصرية ، فكان جديرا بان يصنع مثالا لامرأته ، انظر اليها تجدها جمالا ووقارا يجلبان الاحترام وقوة معنوية تسحر اللب ....

وبنت الشلال هى تخليد بديع ملىء بروح ذلك العنصر من سكان الشلال ، اهتدى اليها مختار عند وادى الجرانيت فأنطقها ترنم بنشيد النيل والصحراء والشمس المحرقة والحياة الحزينة .....

وتلك المرأة فى القيلولة تجدها فى دار الآثار شبيها لها امرأة كانت تخبز ، غلب عليها النعاس امام الفرن فنامت . هى صورة لبعث القديم واحياء الجديد من الفن

عاش مختار سنين فى باريس ، وما كان يأمل فى الحياة بقدر ما كان يأمل أن يكون له بيت فى قرية مصرية بين تلك المصريات ويعبر عنهن بالملكات اللاتى أحب حركاتهن وسكناتهن ، يحملن الماء وغير الماء ، يأكل مما يحلو لهن أكله ، مرتديا ذلك السروال الواسع الاكمام

وما كان يلذ له التمتع بأى شىء وحيدا ، فان دعاه داع الى الغداء

السفسطائيون

للاستاذ زكى نجيب محمود

.... اذن فقد كانت آسيا الصغرى مهداً تقلب فيه الوليد الجديد وظل حينا يتعثر ، حتى استقام بعد لأى على قدمين لم ترسخا الا فى عصر شديد ، فقد حدثتك فى فصل سابق أن العقل الناشىء لم يكد يستيقن من وجوده ، حتى أرسل البصر يستطلع أصل الوجود ، وجاهد ما استطاع لكى يصل فى تعليله الى مبدإ معقول ، فالتمسه فى الماء والهواء ، ولكنه أفلس ، ثم عدل عن مادة الكون الى جوهره ومعناه ، فأفلس كذلك ، وهكذا لبث اليافع فى عثاره ، يستقيم ليكبو ، ويكبو ليستقيم ، حتى كانت غارة الفرس الداهمة ، التى اجتاحت المستعمرة اليونانية فى آسيا الصغرى ، ففزع الفلاسفة ربما ، وهاموا فى فجاج الارض فرادى يحملون قبس الفكر ، حتى انتهى طرف منهم الى بلاد اليونان ...

أنظر ! فهذى بلاد اليونان قد صاغها الله يدا مبسوطة ، كأنما تريد أن تلقف بأصابعها الناتئة فى مياه البحر حضارة القدماء من الجنوب والشرق ، بسطت كفها فتناولت من مصر مدنية كانت حينئذ قد بلغت شأوا بعيداً ، واستعارت من بابل وأشور وآسيا الصغرى شذرات منثورة من العلم والمعرفة .. وقد أراد الله لتلك

مثلا اشترط لذلك دعوة اخوانه جميعا وان لم يعرفهم جميعهم الداعى

لقد كان يحب ان يعيش بين القلوب لا بين الاجساد . ما عاش مختار لنفسه ، بل عاش للفن — ان كل ما نراه اليوم بمصر من جهود فنى ، هو فى الحقيقة اثر من آثاره — فقد كان المحرك لارسال البعثات الفنية ، وفى فتح مدرسة الفنون الجميلة ، وفى اقامة المعارض والاشادة بذكر الفنانين ، كان يحلم بايجاد ادارة للفنون تحت رياسة وكيل ثان للمعارف على نسق النظام المتبع فى فرنسا

وبالاختصار كان مختار روح الفن فى مصر نفثه فى جميع المصريين حتى نطقوا باسمه جميعا ، وصارت « نهضة مصر » عنوانا لكل صاحب مهنة وفن فى القاهرة ، وفى جميع القرى المصرية ، فكفاه تمجيدا تمجيده ليوم من ايام مصر .

سامى كمال

البلاد اليونانية أن تكون وعرة المسالك ملتوية الأديم ، تنهض على صدرها الحزون وترتفع الجبال ، فانحصرت بين شعابها طائفة من الأودية ، كانت فى عزلتها كالأوكار ، نشأت فى أكنافها مدن متفرقة ، ليس الى اتصالها سبيل هين ميسور ، فسلكت كل واحدة منها طريقا بعينها فى الدين والثقافة ونظام الحكم . ولبثت تلك المدائن متنافرة متناكرة ، لا تلتقى فى وحدة قومية ، اللهم الا اذا أغار عليها مغير يطمع منها فى غزو وسلطان . وذلك ما حدث عند ما جاءت من الشرق جيوش الفرس يقودها عظيمهم داريا ، عندئذ انعقدت الخناصر على التحالف بين اثنتين من تلك المدن اليونانية ، كانتا أشدها بأسا ، وأوفرها قوة وأبلغها رقيا وتقدما ، تحالفتا على أن تعد إحداهما الجيش ، والاخرى تهيء الاسطول ، ومن ذا تظن أن ينهض بتهيئة أسطول ضخم قوى غير الأثينيين ، الذين لهم من موقعهم صلة وثيقة بالملاحة وزكوب الموج ، وأما الأخرى — اسبرطة — التى عرف رجالها بالبأس والقوة ، فقد جهزت جيش الدفاع .

وقعت الحرب وانتصر اليونان ، فعاد الأثينيون بأسطولهم وقد اتخذوه بعدئذ أداة للتجارة ، ظلت تجوب جواريه المنشآت فى جوف البحر الأبيض ، تحمل منها واليها التجارة من كل صوب ، وما هى الا أن تزخر أثينا بتلك التجارة الصادرة الواردة ، ويعلو ذكرها فى الاسواق ، وتصبح مركزا تلتقى عنده الأقوام والاجناس ، لكل قوم دينه ، ولكل جنس ثقافته . واذا بهذه الألوان المختلفة يضطرب بعضها فى بعض ، ويخالط بعضها بعضا ، فتمتزج الثقافات جميعا والديانات جميعا فى صعيد واحد ، ويكون لذلك كله نتيجة محتمة ، هى المقارنة والتحليل ، وبالتالى نشأة الفكر الصحيح . وهذا بديهى معقول ، فالمذاهب المتضاربة ينسخ بعضها بعضا ، وتدنو بالناس الى الارتياب والشك فيها جميعا

واذن فقد كانت أثينا ، عند ما طوح القدر بذلك القبس الخافت من آسيا الصغرى بيئة صالحة وتربة خصبة ، يستطيع أن يستقر فى أرضها ذلك الشعاع الضئيل ، حتى اذا ما امتد به الزمان قليلا ، سطع لامعا وهاجا فى عهد الاساطين الثلاث : سقراط وافلاطون وارسطو

حمل انكسجوراس الى أثينا تلك البذرة الاولى للتفكير الفلسفى وقد كانت وليدة الافكار السابقة التى نشأت فى آسيا الصغرى وجنوب ايطاليا . فلعلك تذكر أنى وقفت بك فى تتبع السلسلة الفكرية عند المذهب الذرى ، الذى رد الكون الى ذرات دقيقة تجتمع وتأتلف فتكون هذا الشيء أو ذاك ، ولكنك تستطيع أن تسأل أشياع ذلك المذهب ، ما الذى يبرر عقلا أن تجتمع طائفة معينة من الذرات فى صورة ما دون صورة أخرى ؟ خذ الانسان مثلا ، فهو عندهم مجموعة ذرية لا أكثر ولا أقل ، فهل تظن أن من اليسير على عقل منطق أن يقنع بان تلك الذرات الجامدة تأتلف بطريق المصادفة العمياء ، فتنتج ملايين الأفراد على غرار واحد وفى هذه الدقة من التنسيق ؟ كلا ! يستحيل ألا يكون وراء هذه الذرات المادية عقل مدبر حكيم ، يملك تصرفها فيجمع بينها ثم يفرق جمعها تبعا لما يقتضيه قصد معين وهدف منشود . . . فى الكون اذن عنصران متميزان : مادة ترى بالبصر وتحس بالأيدى ، وعقل خفى يكمن وراء أستار المادة ، يسلك بها ماشاء من سبل ، وهو حكيم رشيد ، يعرف أين يسير بمادته فى سبيل سواء . . . هذا ما حمله انكسجوراس الى أثينا ، فبدأت الفلسفة اذن طورا جديدا . . . لم يعد العقل يلتمس أصل الكون وعلته فى ماء ولا هواء ، ولم يعد يلتمسه فى قاعدة رياضية ، أو فى ذرات تفترق وتلتقى على غير هدى ، بل جاوز العقل فى جولته حدود الطبيعة المحسة ، وضرب فيما وراءها ، واذن فما أجدرنا أن نضع انكسجوراس فى مرتبة من تاريخ الفلسفة عالية رفيعة اذا كنا نفرق بين مراتب رجالها . فهو بين الفلاسفة أو لمن رأى فى الكون رأيا ناضجا ، يصدر عن رشد ووعى ، بالقياس الى اسلافه الذين لم تزد أقوالهم على سذاجة الطفولة الحالمة

ترى من هذا كله أن العقل قد لبث طويلا يبحث فى حقيقة الكون فانتهى الى نتائج متنافرة متباعدة ، وتشعبت عليه السبل وكثرت الحلول ، فكان طبعيا أن يقف منها جميعا موقف الشك والريبة فكلها حق ان شئت . وكلها باطل ان شئت ، فلنطرح بها هشيما تذروه الرياح ، ولنترك الكون وما يحوى لا نطرقه بالبحث الآن ، وليكن موضوع بحثنا منذ اليوم هو الانسان ، فهو سيد الأشياء ، وهو وحده الفيصل الحكم ازاء هذه المذاهب الفكرية ، يعتنق منها ما يشاء ، ويطرح ما يشاء فى زوايا الاهمال . وليس لأحد سلطان على أحد فى ان يوحى اليه بفكرة أو رأى ، فما تراه انت حقا فهو حق ، وما تراه

أنت باطلا فهو باطل .. ما تلمح فيه النفع لشخصك فهو الفضيلة العليا وكل ما يناقض هواك فهو رذيلة وشر ، لا تأبه بتقاليد ، ولا تصدق الناس فيما يذهبون اليه من خير وشر ، فأنت دولة وأنت مالكها ، لك أن تحكم فيها بما تشاء وتهوى ... انظر ! هذان رجلان يشخصان ببصريهما الى الشمس تنحدر الى خدرها ساعة الغروب فخلعت على الأفق غلالة حمراء ، فيفتن جمالها واحدا منهما حتى يكاد يطفر راقصا مفتونا بما يرى . وأما الآخر فينظر اليها شزرا واستخفافا ، بل انه ليستحقر من ضحاحبه ، فليس ثمت فى الشمس جمال ولا شىء يشبه الجمال !! فمن ذا يستطيع أن يقنع أحد هذين بخطأ رأيه أو بصواب ؟ ولم لا يكون كلاهما على حق ؟ واذا كانت الأهواء والميول والمشاعر متضاربة متناقضة ، لا تجتمع فى نزعة واحدة ، ولا يمكن ان تدور رحاها حول قطب واحد ، أفلا يكون شططا منك واعتسافا أن تفسر تلك المجموعة المتنافرة على أن تلتقى كلها عند حقيقة واحدة ؟! ومن ثم يكون حقيقا بمنصب الحكم بينى وبينك فيما نحن فيه مختلفان ؟ كلا ! ليس ثمت حقيقة واحدة ، بل الحقائق فى الدنيا بقدر ما يضطرب فيها من أفراد البشر ، فليذهب كل فرد مذهبه فى الكون وفى ظواهر الكون ، ولا يخشين بأسا من نقد أو تجريح لما يذهب اليه ، فهو لا يقل حقا وصوابا فيما يرى عن أى رجل آخر ، بالغا ما بلغ من العبقرية والنبوغ ... تلك هى العقيدة التى حملتها طائفة من الناس فى أرض اليونان ، وأخذت تجوب بها الانحاء والأرجاء ، تلقيها فى الناس فى ذلاقة وطلاقة وحسن بيان ، حتى اجتمع حولهم طوائف الشباب جميعا ، يتلقون عليهم ذلك الشك ، ويتعلمون عنهم طرائق التشكيك وأساليب المحاورة والمداورة فى الخطابة والحوار لقاء أجر يعظم ويضؤل تبعا لما يتلقى الشاب من عدد الدروس ... وانما أعنى بتلك الطائفة جماعة السفسطائيين ، ولم يكن ذلك الاسم عندئذ يحمل ما يحمله اليوم من تحقير ، بل هم جماعة أحبوا الحكمة كما يحبها كل فيلسوف ، لولا هذه الزلة التى سقطوا فيها فأسقطت من قدرهم ، وهى تقويم الحكمة بالأجر

وأبرز أولئك السفسطائيين رجال ثلاثة : بروتاغوراس وجورجياس وهياس ، ولقد أنكر ثانيهما وجود الأشياء جميعا وحتى لو فرضنا جدلا أن ثمت فى الكون أشياء لها حقائق ثابتة ، فلا يمكن أن نوقن بأن الصورة الذهنية التى نعرفها لتلك الاشياء مطابقة لها تماما ، فمن الجائز ، بل من المرجح ، بل من المؤكد أن حقيقة هذا القلم الذى بيدى تخالف فى وجوه كثيرة صورته الذهنية التى أحملها له ... وهب أنك تستطيع أن تصل الى معرفة مطابقة للواقع فانه يستحيل عليك أن تنقل هذه المعرفة للآخرين ، لأنك مضطر الى التعبير عنها فى كلمات ، ولا أحسب فى الدنيا أحدا يشك فى أن اللفظ شىء والمعرفة نفسها شىء آخر . وإذن فمهما قلبت الأمر على وجوهه فلن تصل الا الى نتيجة واحدة ، وهى أنه لا يمكن أن يكون فى الوجود حقيقة موضوعية مجردة يجمع عليها ، بل الحقائق ذاتية تختلف باختلاف الاشخاص ، واذن فمن العبث أن يستمع فرد الى رأى فرد آخر ، ولا يجوز لك أن تصغى لغير ما تراه وتشعر به ، ولا تختار من كل ذلك الا ما تصيب عنده نفعا

أجمع السفسطائيون على ذلك ، ولكنهم ذهبوا فى السياسة مذهبين : فريق يدعو الى العودة الى أحضان الطبيعة واستيحائها فيما يجب أن يرسم للجماعة من نظام وقانون — كما فعل روسو فيما بعد — ولما كانت الطبيعة عندهم تسوى بين الافراد ، لا ترفع أحدا ولا تخفض أحدا ، اذن فسحقا لهذه المدنية التى تجعل من الناس طبقات بعضها فوق بعض ، فذلك نظام مفتعل دخيل على طبيعة الانسان جدير بنا أن ننبذه فى جرأة حازمة ، ولا ينبغى لنا أن نأبه لهذا القانون الذى تواضعت عليه الجماعة ، لأنه من وضع القوى ، فرضه على الضعيف فرضا لا يجيزه حق ولا تجيزه عدالة ، انما القانون العادل هو الذى ينزل الأفراد منزلة سواء ، ومعنى ذلك أن تكون الديمقراطية مثلا أعلى للحكم .

وأما الفريق الآخر ، فقد دعا الى النقيض — كما فعل نيتشه فيما بعد — الست ترى من الناس فيلسوفا عبقريا بجانب الغبى الأبله ، اليس منهم الضعيف الخائر الى جانب القوى ذى العود الصلب ؟ اذن لم تسو الطبيعة بين الافراد ، كلا ولا الاخلاق ابتكرها القوى انما هى على النقيض من ذلك ، خدعة أوحى بها الضعيف ليحد من قوة القوى وسلطانه .. ولا يتردد هذا الفريق فى الدعوة الى الارستقراطية فى الحكم ، وهذا الهجوم العنيف على الديمقراطية وحكمها يصور لنا نهوض جماعة من الأغنياء الأذكياء ، أرادوا أن يغتصبوا من الشعب الصدور السلطان ، بحجة افلاسه فى ادارة البلاد

فأنت تستطيع أن تسخر من مذهب السفسطائيين ، ومن حقك أن تهمله اهمالا وان تنبذه نبذ النواة ، لانه خطر على الاجتماع ، خطر على الأخلاق ، خطر على العقائد ، خطر على كل نواحى الحياة الانسانية ، لأن قوام هذه اليقين والايمان فى مجموعة من الحقائق التى تفرض على الناس فرضا ، سواء صادفت هوى من

٤ ـ بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الجحيم فى الروايتين

اذا تحدث الادباء فيما بينهم عن جحيم دانتى . فانما يريدون تلك الكوميدية التى لم تقصر نفسها على الجحيم تذكر طبقاته وحراسه ومعذبيه ، بل ضمت جوانحها ثلاث نواح : الجحيم l'inferno ، المطهر أو الاعراف Ilhpurgatorio ، والفردوس Il paradiso ودانتى فى كل ذلك يبلغ نهاية الأجادة . بيد أنه فى وصف الجحيم كان أكثر إسهابا وأشد قوة ، فطغى اسم الجحيم على الرواية كلها واستأثر بالاسم وحده بين كثير من المتأدبين .

ولكن المعرى لم يعن بجهنم كما عنى بالفردوس . ولم يسهب فى وصفها كما أسهب فى وصف الجنة . ولعله ما كان يريد أن يعرض للجحيم لولا رغبته أن يتم لابن القارح نعيمه . وأن يعظم شكره . فقد قال المعرى بعد أن استكمل لابن القارح كل لذائذه فى فراديس الجنان : ويبدو له أن يطلع على أهل النار فينظر إلى ما هم فيه ليعظم شكره على النعم بدليل قول تعالى . « قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول أئنك لمن المصدقين . أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون . قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين » فيركب ابن القارح بعض دواب الجنة ، ويسير بها صوب الجحيم معرجا فى طريقه على (جنة العفاريت) يلتمس من أشعار أهلها متحدثا مع (الخيثعور أحد بنى الشيصبان ، ومع أبى هدرش) مارا على الحطيئة عند شجرة قيئة ، وليس عليه نور سكان أهل الجنة فيسائله عن سبب دخوله الجنة ، فيقول له الحطيئة : بالصدق فى قولى :

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما ... بهجر فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

ثم يغذ فى سيره حتى يشرف على جهنم فيرى امرأة تطلع على من فيها . فيقول لها من أنت ؟ . فتقول : أنا الخنساء السلمية . أحببت أن أنظر الى صخر . فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ . والنار تضطرم فى رأسه ، فقال لى : صح زعمك فى ، يعنى قولى :

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

ثم يتركها متغلغلا فى طبقات الجحيم .

طبقات الجحيم فى الروايتين

لم يعن المعرى بتقسيم الجحيم الى طبقات ، لكل طبقة من العصاة والمذنبين جزء مقسوم . ولم يسهب فى وصف أهوالها وآلامها إسهاب دانتى . بل كان همه لقاء الشعراء وحوارهم فيما نسب إليهم من شعر . وفى تصحيح الرواية ، وبيان الوجوه النحوية واللغوية والصرفية . فلم تكد تقع عينه على امرىء القيس حتى يسائله عن إعراب (يوم) وعن تخفيف الياء من (سى) وتشديدها فى قوله

ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل

ثم يقول : ليت شعرى ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ فيقال ما هو ذا من تحتك ان شئت أن تحاوره فحاوره ، فيحاوره فى (سخينا) من قوله ..

نفوسهم أم لم تصادف ، أما ان يكون الافراد احرارا فى اختيار الفضائل التى تتفق واهواءهم فانحلال وفوضى ، يقوضان أركان المجتمع فى يوم وليلة .

تستطيع ان تقول هذا فيما ذهب اليه السفسطائيون ، ولكنك لن تستطيع ان تنكر عليهم أنهم كانوا مرآة مجلوة انعكست عليها صورة الحياة فى عصرهم ، فقد تعددت العقائد الدينية فشك الناس فى صحة الأديان ، وقد تعددت الآراء الفلسفية فشك الناس فى ثبوت المعرفة . وقد برهنت الديمقراطية فى أثينا على أنها عاجزة لبعض العجز عن تصريف شئون الدولة فتزعزع الايمان فى أسلوب الحكم

شك فى الدين ، وشك فى المعرفة ، وشك فى نظام الحكومة ، لا يمكن أن يلد الا طائفة كهؤلاء السفسطائيين ، ينكرون الحقائق جملة ، ولا يؤمنون الا بالمنفعة الشخصية والحقيقة الذاتية .

ولكن أراد ربك ألا يطول الامد لهذا الانحلال الفكرى ، فسلط عليه ذهنا عاتيا جبارا ، مازال به نقدا واصلاحا ، حتى امحى وخلص من شره الانسان ، ومن يكون هذا غير سقراط ! ؟

زكى نجيب محمود

ستعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

أمن السخاء . أم من الماء السخين ؟ . الى كثير من حوار وجدل ، ذلك سيله ، سنفرده بالحديث حين الكلام عن الحوار فى الروايتين .

ولقد بذل داتى مجهودا عظيما فى تقسيم جهنم ، فقسمها إلى تسع طبقات اختص كل طبقة منها بطائفة من المعذبين ، ووصف ما هم فيه من عذاب وآلام وصفا مؤثرا بليغا . فى الطبقة الأولى رأى الملائكة الذين لم يطيعوا الله ولم يطيعوا ابليس Lucifero حينما تمرد على ربه . انتظارا للنتيجة حتى يتبعوا الغالب فى زعمهم ؛ ثم رأى خلقا كثيرا عريت أجسامهم ، واتابتها أفواج من الذباب والزنابير تدمى جلودهم ، وتنهل من دمائهم .

وفى الطبقة الثانية رأى المحبين الذين أسرفوا فألقوا أنفسهم فى حمأة الخطيئة . ومن بينهم باولو وعشيقته فرنشسكا التى قصصت خبرها فى العدد الماضى .

وفى الطبقة الثالثة رأى البخلاء والمسرفين يلعن بعضهم بعضا . ويقول الأولون للآخرين : لما ذا أسرفتم ؟ . فيقول الآخرون : للأولين لما ذا قترتم ؟ . ولن يغنى تخاصم أهل النار عنهم من العذاب من شىء .

وفى الطبقة الخامسة يرى الحمقى الذين كان يستفزهم الغضب وهم يضرب بعضهم بعضا . ثم يرى المتكبرين والمتغطرسين فى بركة سوداء مترعة بالأوحال والأقذار ، وهم يتقلبون فيها خاشعين . ينظرون من الذل من طرف خفى .

فأما الطبقة السادسة فهى مقابر متراصة . تزخر بالأنين وباللهب ، وأعدت لمن أنكروا الله ووجوده .

وفى الطبقة السابعة نظر نهرا من دم يغلى يغوص فيه السفاكون ، وقاطعوا الطريق .

وفى الطبقة الثامنة رأى رجال الدين المتجرين به . والذين كانوا يدّعون أنهم خلفاء المسيح الذى أحب الفقر وآثره على الغنى . بيناهم يتساقطون على الحطام تساقط الذباب على العسل ، والكلاب على الجيف . ورأى المنجمين والمخادعين والمرائين . وهم يلبسون أثوابا باطنها رصاص يشوى الوجوه ، وظاهرها ذهب لامع براق جزاء وفاقا على رياهم . ودهانهم .

أما الطبقة التاسعة فهى زمهرير تجمد ماؤه ، وضم فى أحشائه إبليس ، (ويهوذا الأسخريوطى) الذى تم على مكان السيد المسيح فدل اليهود عليه . ثم الذين خانوا أوطانهم مسهبا فى وصف هؤلاء الخائنين . مفتتا فى ذكر ما أعد لهم من جحيم ذى غصة ، ومن عذاب أليم .

حراس الجحيم

تحدث المعرى عن حراس الجحيم فى قلة وفى دعابة . ثم ذكر شيئا قليلا من أعمالهم ووظائفهم ، على حين أن داتى ذكر لكل طبقة من طبقات جهنم حارسا أو جملة اجراس ، وأسهب فى وصف أعمالهم وما يصبونه فوق رؤوس المعذبين من ويلات وآلام . وما أوجز المعرى فيما أحدثك عنه الا لأن المعرى رجل دعابة وظرف ، يريد أن يجتذب القارى . نحوه . وان يعلمه كثيرا من قواعد اللغة ومفرداتها دون أن يحس جفاف تلك الابحاث كما عهدناه يحاول ذلك فى (رسالة الملائكة)

وما أسهب داتى الا لأنه رجل موتور ممن شردوه ونفوه فهو يريد أن يرى وان يريه يصب من فوق رؤوسهم الحميم . ثم هو غرض (الكنيسة) يهوى أن ينفر الناس عن الخطيئة ما إستطاع لذلك سبيلا . فالمعرى يقص علينا عمل الزبانية بما حدثنا به عن بشار بن برد . وقد أعطاه الله عينين بعد الكمه لينظر ما نزل به من النكال . ولكن بشارا يأبى الا أن يغمضهما حتى تتوارى عنه الوان العذاب ، فتفتحها الزبانية بكلاليب من نار . . . كما حدثنا عن الزبانية مرة أخرى اذ يغضب ابليس من حوار بين الأخطل وبين ابن القارح فيصيح فيهم قائلا : ما رأيت أعجز منكم إخوان مالك ! فيقولون : كيف زعمت ذلك يا أبا مرة ؟ فيقول : ألا تسمعون هذا المتكلم فيما لا يعنيه ؟ فقد شغلكم وشغل غيركم عما هم فيه ، فلو ان فيكم خيرا لاحب نجيزة قوية لوثب وثبة حتى يلحق به الى سقر . فيقولون : لم تضع شيئا يا أبا زوبعة ليس لنا على أهل الجنة سبيل . فيشمت ابن القارح فى ابليس : فيقول ابليس عليه اللعنة : ألم تنهوا عن الشمات يابنى آدم ؟ ولكنكم بحمد الله ما زجرتم عن شىء الا وركبتموه . .

وكم كان المعرى طريفا حقا إذ يحدثنا عن نداء ابن القارح لمهلهل أخى كليب حينما يقف فى جنبات السعير وينادى : اين عدى ابن ربيعة ؟ فتجيبه الخزنة قائلين : زد فى البيان : فيقول : الذى يستشهد النحويون بقوله

فى القـــاهرة . . .

للآنسة فلك طرزى

— ١ —

مصر . . ! اى شفاه تلفظ هذه الكلمة ولا تجرى عليها ابتسامة وسرور ؟ . . أى نفس لا تغتبط لرؤية هذه الدرة الثمينة ، ولا تنعم بجوها المعتدل ونسيمها العليل ؟ . . .

اى قلب لا تسحره هـذه النسمات يرسلها الربيع فى انحائها فتنتعش الازهار والرياحين ، وتكتسى الأشجار حلتها السندسية البديعة ، يداعبها النسيم فترقص اغصانها ، وينبعث من حفيفها هـذا الأريج العطرى ، وذلك العبير الذكى ، فيشيع فى جو القاهرة روح الحياة ، ويسرى فى عروق هادم الشباب ونشاطه . وأى إنسان لم تملك عليه القاهرة حسه بسحرها ، وتفتنه بطيب هوائها وعذوبة نيلها ، وأى قلب لم تستلبه هذه الغادة الحسناء بفتنتها عند اشراق شمسها فى الصباح الضاحى الجميل ، وعند غروبها غارقة فى لجة من دماء الشفق ، تقتتل فى حماتها الملائكة والشياطين .

مصر التى حنت الينا اجنحة الخيال قبل ان تقلنى عربة القطار ، مصر التى سحرتنى الأحاديث عنها قبل ان تأنس العين بمرآها

ضربت صـــدرها الى وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقى فيقول له خزنتها . انك لتعرف صاحبك بأمر لا معرفة عندنا به . ما اسمه يون ؟ وما الاستشهاد ؟ وما هذا الهذيان ؟ نحن خزنة سلمان . فبين غرضك تجـاله ، فيقول : أريد المعروف بمهلهل التغلبى أخى كليب بن وائل الذى كان يضرب به المثل : فيقولون له : هاهو ذا يسمع حوارك فقل ما تشاء :

ذلك جل ما دار ره المعرى عن حراس جهنم لم يسهب فيه ولم يطل

فأما داتى واسهابه ووصفه الغريب لكل شيطان من شياطين السعير فوعدنا بالحديث عنه العدد القادم .

يتبع . محمود احمد النشوى

أجل ! رأيتها ! وتمتعت بها اياما ، وقضيت فيها اسبوعا ، وتحققت لى برؤياها امنية من أحب الأمانى التى خفق بها قلبى .

مصر العظيمة الجبارة ، مصر الساحرة الفاتنة ، تبتسم لى وانا اطل عليها من نافذة القطار بعين اسفت والوله ، هى تبتسم بانوارها الساطعة ، وتضحك باشراقها المهيب فى الصحراء القاحلة ، وطلعتها الفتية الجميلة بين باسقات النخيل ، والسهول المتزامية الاطراف ، يسقيها النيل الهادىء الوديع رحيقا سائغا شهيا ، فترتشف منه حياة قوية فياضة ، ويتضاعف من مائه نموها وازدهارها

أى عين لا تطيل النظر فى ذلك النهر العظيم تستطلعه انباء الماضى الحافل ، وما تحمله هذه الانباء من الذكريات المفرحة المؤلمة ، وما تخفيه موجاته الهادئة من عبارات التقديس والتبجيل وهو يسير رويدا ، حاملا اثقالا مرهقة من الاسرار الغامضة ؟

هو يسير كما كان منذ آلاف السنين لا تعوق مجراه تقلبات الاجيال ولا نزعات النفوس . لكنه الآن ينظر بعينيه الحزينتين المغرورقتين بالدموع الى الانقلاب العظيم الذى وقع لبنيه ، ويشعر بهذا الألم القتال يحز فى قلوبهم ويدمى افئدتهم .

لقد شاهد النيل العظيم مجد مصر القديم وأبهة الفراعنة ، والآن يشاهد ذل بنيه وخضوعهم ، يشاهد زمام أمورهم بين أيدى العدو ، ويرى مفتاح ملكها الخالد فى قبضته ، بعد ان كانت تتقلب موجاته فى مدارج العز ، وتصطفق بين معالم الفرح والرخاء والابهة التى احرزها بنوه الاولون . اما الآن فهو يتقلب متهدما بين الأسى والألم ، كالشيخ ثكل أبناءه الواحد إثر الآخر ، فهو صامت خاشع ، يميد من ألم الحزن على ما أصاب الزهر فى بنيه ، . . يكتم لواعجه فى غوره العميق ، ويخفى دموعه الغزيرة بين طيات المياه فتزيدها اندفاعا وانحدارا ، فتبكى مصر نيلها الجبار ، ويبكى النيل وطنه العزيز ، وتئن مصر فى موسيقى موجه الخافت ، وتتوسل الى الله أن يرفع عنها نير العبودية فى أناشيده الناطقة الصامتة . . !

أى مصر ! . . لقد طبعت فى نفسى صورتك الخالدة ، ونقش اسمك المقدس على صفحة قلبى بحروف بارزة لا تنال منها الأيام . اى مصر الحبيبة ! أى مصر : يا درة الشرق الغالية ، ومعبودة الجميع ، لقد ملكتنى وجعلت من نفسى أسيرة الأبد لحبك وهواك . . !

دمشق . فلك طرزى

٦ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

ويلحق بالديوان شعره فى الرسائل والمقامات وذلك فى معظمه قطع قصيرة جيدة

ثم شعر البديع عامة . سهل جيد المعانى منقح الالفاظ يتجلى فيه تهذيب الكتاب ، اذا استثنينا الشعر المرتجل وشعر الألغاز ونحوه مما لايقام له فى الأدب وزن ، ولكنه لايبلغ الدرجة العليا الا قليلا .

وبديع الزمان عند نفسه وعند الناس كاتب يقول الشعر ، ولكنه يرى أن البليغ من أجاد الصناعتين : يقول فى المقامة الجاحظية : « ان الجاحظ فى أحد شقى البلاغة يقطف . وفى الآخر يقف . والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يذر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعراً رائعا ؟

نثر الهمذانى

فى القرن الرابع الهجرى بلغت الكتابة العربية درجة من الصناعة والتأنق لم تخل بسلامتها ولم تذهب بمعانيها . تولاها كتاب قادرون صرفوها فى أغراض شتى ، واختاروا من الالفاظ والاساليب الجميل المحلى ، دون إغراب ولا اخلال بالمعانى . وتناولت الكتابة كثيرا من فنون الشعر ، كالمدح والهجاء والغزل والوصف : الى ما كان لها قبلا من الموضوعات ، فاتسع المجال لنوى الفكر الثاقب والقلب الشاعر ، لم يقيدهم فى النثر ماقيد الشعراء من الأوزان والقوافى والاصطلاحات . وكان كثير من الكتاب يلتزم السجع ، ومنهم من يكتفى بالازدواج ، وقليل منهم يرسل الكلام ارسالا . وفى هذا العصر نبغ أئمة الكتابة كابن العميد والصاحب والصابى والمهلبى وقابوس ، والخوارزمى ، وبديع الزمان . ولم يكن بديع الزمان كمعظم هؤلاء وزيرا أو ذا منصب ، فلم تستغرق كتابته أمور الدولة وكثرت فى رسائله الموضوعات الخاصة والعامة . واستبانت نواح من عصره فى السياسة والأخلاق ، والآداب وغيرها

وله فى الكتاب أصحاب المناصب رسالة الى أبى نصر المرزبان يقول فيها : كنت أطال الله بقاء سيدى ومولاى فى قديم الزمان اتمنى للكتاب الخير ، وأسأل الله أن يدر عليهم اخلاف الرزق ، ويمد لهم أكناف العيش ، ويوطئهم أعراف المجد ، ويؤتيهم أصناف الفضل ، ويركبهم أكتاف العز ، وقد رأى أن أرغب الى الله تعالى فى ألا ينيلهم فوق الكفاية ، ولا يمدهم فى حبل الرعاية ، فشد مايطغون للنعمة ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ماينظرون من عال ، بما ينظمون من حال ، ويجمعون من مال ، وتنسيهم ايام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة ، وللكتاب مزية فى هذا الباب ، فبينا هم فى العطلة اخوان ، كما انتظم السمط ، وفى العزلة أعوان ، كما انفرج المشط ، حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة ، أوصك جعالة ، فيعود عامر ودهم خرابا ، وينقلب شراب عهدهم سرابا ، فساءت أمورهم ، حتى اسبلت ستورهم ، ولا غلت قدورهم ، الا خلت بدورهم الخ (١)

ويجمع نثر بديع الزمان الرسائل والمقامات :

١ - الرسائل

لبديع الزمان ثلاث وثلاثون ومائتا رسالة تناول فيها أغراضا كثيرة .

والرجل درّاك حساس ، اذا سلط فكره الى موضوع اضاءت له جوانبه كلها ، ثم وضحت أمامه طرائق البيان ، فهو مبين عن كل معنى بطرق مختلفة من التصوير والتمثيل ، يسايره القارئ فيها ، وهو معجب متعجب . انظر قوله فى بعض السلاطين (٢) : « قد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء . اذا تغيم لم يرج صحوه ، وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه ، فليس بين رضاه والسخط عرجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ، فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ، ولا يرضيه العذر الجلى ، وتكفيه الجناية وهى ارجاف ، ثم لاتشفيه العقوبة وهى اجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعمى عن العذر وهو ابين من عمود الصبح ، وهو ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب بهذه العذر وهو برهان ، وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ، ويقبض الاخرى عن العفو والصفح ، وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ، ويغمض الاخرى عن الحلم ، فرحه بين القد والقطع ، وجده بين

(١) ص ٦٦ من الرسائل
(٢) ص ٦٩ من الرسائل

السيف والنطع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وامره بين الكاف والنون ، ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب ، الا لازالة النعم ، ولا يعلم من التأديب ، غير اراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ولا النشرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ، ثم ان النعم بين لفظه وقلمه ، والارض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولى الا بفمه ، ولا العدو الا بدمه ، والارواح بين حبسه واطلاقه ، كما الاجسام بين حله ووثاقه ، ونظرت فاذا انا بين جودين : إما أن اجود بنفسى ، وإما أجود برأسى ، وبين ركوبين : إما المفازة ، وإما الجنازة ، وبين طريقين : إما الغربة ، وإما التربة ، وبين فراقين : إما أن أفارق أرضى ، أو أفارق عرضى ، وبين راحلتين : إما ظهور الجمال ، أو أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت :

إذا لم يكن الا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ويقول فى رسالة كتبها الى القاضى ابى القاسم يذم احد القضاة (١) « فولى المظالم وهو لا يعلم اسرارها ، وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها ، والامانة عند الفاسق ، خفيفة المحمل على العاتق ، تشفق منها الجبال ، وتحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى ، وحديث رسوله يروى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنده من السلة والجام ، يدلى بهما الى الحكام ، ولا مزكى أصدق لديه من الصفر ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحب اليه من غمرات الخصوم ، على الكيس المختوم ، ولا وكيل أوقع بوفاقه من خبيثة الذيل ، وحمال الليل ، ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق ، فى وقتى الغسق والفلق ، ولا حكومة ابغض اليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير اذا ظلم ، فما يغنيه موقف الحكم ، الا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء ، الا بالنار من الرمضاء ، وأقسم لو أن اليتيم وقع فى اناب الاسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غابات هذا القاضى وأقاربه ، وما ظن القاضى بقوم يحملون الامانة على متونهم ، ويأكلون النار فى بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى ، وتسمن أكفالهم من مال الايامى ، وما ظنك بدار عمارتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قولك فى رجل يعادى الله فى الفلس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت ، وباطن أصحاب السبت ، فعله الظلم البحت ، وأكله الحرام السحت ، وما رأيك فى سوس لا يقع الا فى صوف الايتام ، وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب الا خزانة الاوقاف ، وكردى لا يغير الا على الضعاف ، وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود ؟ وما زلت ابغض حال القضاة طبعا وجبلة ، حتى أبغضتهم دينا ونحلة »

وكتب فى كتاب لم يعجبه انشاؤه وخطه : « الكتاب وصل ، حجم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجنون ، لا يدرى الف فيه من نون ، وسطور ، فيها شطور ، ديباج السرطان ، على الحيطان ، ولفظ اخلاط ، لا يدركه استنباط ، ولا يفسره بقراط ، هذيان المحموم ، وهوس الملوم ، وسوداء المهموم ، وقرأت شطر كتاب لم أدر والله عما يعبر ، عن أمور سقيمة ، أو عن أحوال مستقيمة ، لا جرم انى ظننت خيره ، ولم أبعد غيره ، وجوزت السلامة ، ولم آمن ضدها ، وذهبت مع الظن الجميل اتفاقا ، ثم رجعت القهقرى إشفاقا ، فسألت الله لك المزيد إن كانت سلامة والسلام »(٢)

وكتب الى أحد اصدقائه يطلب بقرة :

« وقد احتيج فى الدار الى بقرة يحلب درها ، فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين فى حلبه ، كما تنظم بين دلوين فى شربه ، وليملأ العين وصفها ، كما يملأ اليد خلفها ، وليزن مشيها سعة الذرع ، كما يزين درها سعة الضرع ، ولتكن عوان السن ، بين البكر والمسن ، ولتكن طروح الفحل ، رموح الرحل ، وليصف لونها صفاء لبنها ، وليكن ثمنها كفاء سمنها ، ولتكن رخصة اللحم ، جمة الشحم ، كثيرة الطعم ، سريعة الهضم ، صافية كالجون ، فاقعة اللون ، واسعة البطن ، وطية الظهر ، ممتلئة الصهوة ، فسيحة اللهوة ، لا تضيق بطنها عن العلف ، فيؤديها الى التلف ، ترد الهول ولا تخافه ، وتشرب الرنق ولا تعافه ، واجهد أن تكون كبيرة الخلق ، لتكون فى العين اهيب ، صيقة الخلق ، ليكون صوتها فى الاذن اطيب ، واحذر أن تكون نطوحا أو سلوحا ، واياك أن تبعثها ملوحا أو رشوحا ، ولتكن مطاوعة عند الحلب لا تمنع نفسها ، ولا تكثر لحسها ، وداهية فى الرعى ، لا قريب سعى ، حمقاء على الحوض كالنعجة ، لا تأمن من البعجة ، ألوفة للراعى الذى يرتاها ، مجيبة لصوته اذا دعاها ، مهتدية الى المنزل

(١) ص ٧٣

(٢) الرسائل ص ١٦٦

بغير هاد ، ذاهبة الى المرعى بغير قياد ، ولا اظنك تجدها اللهم الا أن يمسخ القاضي بقرة ، وهو على رأى التناسخ جائز ، فاجهد جهدك ، وأبذل ما عندك . »

وهو أكتب مايكون حين يعظ أو يهجو أو يسخر . وللفكاهة فى بيانه مجال واسع (١) به يقول فى رسالة شفاعة : « مثلى أيد الله القاضى مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب ، تقدم الى القصاب ، يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالاخرى قفاه . فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا ، يطلب حملا رضيعا ، كذلك أنا وردت فلا اكرام بألمام ، ولا صلة بسلام ، ولا تعهد بقلام ، فلما وجدته لايبالى ، بسبالى ، كاتبته اشفع لسواى ، وهو موصل رقعتى هذه ، وله خصم بينهما قصة لاأسأله فى البين ، الا إصلاح الجانبين ، والسلام »

وله من رسالة الى فقيه نيسابور فى رجل اغتاب البديع ، فرد عليه الفقيه : « فان كان لابد من انتقام واستيفاء ، فاعيذك بالله ان تجعل أن آذان الأنذال ، فى القذال ، وهى آذان لاتسمع الا من ألسنة النعال الأدم ، أو ترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين . فان تاب ، والا كررت هذا العتاب . » (٢)

وله الى قيس بن زهير : (٣) « اعوز الصوف فبعثت اليك بفرو فطفقت تلوم ، وظلت تقعد فى العتاب وتقوم ، وارانى مابعدت فى القياس ، ولا خرجت عن متعارف الناس ، فالصوف نفس الفرو ، الا أنه نسيج ، والفرو نفس الصوف الا انه حديج ، فكل فرو صوف ، وليس كل صوف فروا ، فان أنصفت وجدت الفرو فطرة ، والصوف بدعة ، وإن نظرت رأيت الفرو صوفا وزيادة ، فكان نعمى وسعاده ، والفرو وبر فى الشتاء ونطع فى الصيف ، فان قرسك البرد فالبسه وأنت قيس ، وان غشيك المطر فاقلبه وأنت تيس » .

وبديع الزمان ليس متكلفا فى بيانه ، لايحس القارىء جهده فى اختيار الالفاظ أو سياق الأساليب ، ولكنه يلتزم السجع فى معظم كتابته سنة كتاب عصره .

وقد عاب الجاحظ فى المقامة الجاحظية بقلة الصنعة فى كلامه بعد أن عابه بأنه لايحسن الشعر قال : « فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا . قال : فهلموا الى كلامه فهو بعيد الاشارات ، قليل الاستعارات ، قريب العبارات . منقاد العنان الكلام يستعمله ، تفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة ، أو كلمة غير مسموعة ؟ »

ب — المقامات

يقول الهمذانى فى رسالة يعيب فيها شعر الخوارزمى : « وما كنت لأكشف تلك الاسرار ، وأهتك تلك الاستار ، وأظهر منه العار والعوار ، (٤) لولا مابلغنا عنه من اعتراض علينا فيما أمليناه ، وتجهيز قدح علينا فيما روينا ، من مقامات الاسكندرى من قوله انا لا نحسن سواها ، وانا نقف عند منتهاها ، ولو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات ، أو عشر مفتريات ، ثم عرضها على الاسماع والضمائر ، وأهداها الى الابصار والبصائر ، فان كانت تقبلها ولاتزجها ، أو تاخذها ولا تمجها ، كان يعترض علينا بالقدح ، وعلى املائنا بالجرح ، أو يقصر سعيه ، ويتداركه وهنه فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية اربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين ، لا لفظا ولا معنى ، وهو لايقدر منها على عشر تحقيق يكشف عيوبه والسلام »

ومثل ذلك فى رسالة الى أبى المظفر بن أبى الحسن البغوى (٥) ويقول الثعالبى « فوافاها (يعنى نيسابور) فى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ونشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى أربعمائة مقامه نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية وغيرها »

وكذلك يقول الحصرى فى زهر الآداب انها أربعمائة مقامة . والذى بايدينا من هذه المقامات اثنتان وخمسون . فهل ضاعت المقامات الاهذا المقدار ؟ أرجح أنه أملى فى الكدية أربعين وحرفت الكلمة الى اربعمائة ، وتتابع عليها النساخ . وذلك أنه يبعد أن يضيع هذا العدد من المقامات على كلف الناس بها ، ولأنه فى رواية الحصرى عارض بالمقامات الأحاديث الاربعين لابن دريد . ثم هو يقول إنه أملى هذه المقامات فى الكدية . ونحن اذا عددنا المقامات التى فيها كدية صريحة وجدناها خمسا وثلاثين . وجائز أن يكون البديع قد اعتبر خمسا أخرى من مقامات الكدية ، فان صح هذا فقد أملى أربعين فى نيسابور . ثم أملى الاخريات بعد كالمقامات الست التى فيها مدح خلف بن احمد .

يتبع

عبد الوهاب عزام

(١) ص ١٠١ (٢) ص ١٧٧ (٣) ص ٢٢٠

(٤) الرسائل ص ١٦٩ (٥) الرسائل ص ٢٢٧

من طرائف الشعر

الأوبـــة

للاستاذ خليل هنداوى

فرجّى الخير وانتظرى ايابى
اذا ماالقارظ العنزى آبا !

— شاعر عربى —

لاترتقبى إيابه ايتها الحسناء !
فقدانتزعته من ذراعيك عرائس البحر
أغوته بفتنتها وأغرته بروعتها .
لله ما أقسى هذه العرائس الزرق العيون !

— خرافة الاقدمين —

لاتنتظرى ايابه ايتها الحسناء
فقدسلبته من ذراعيك عرائس الصحراء
فتنته بيسمتها، وأغوته برقتها .
لله ماأقسى هذه العرائس الشقر الشعور!

— الناظم —

لاتَسْحى الدموعَ حزناعليه فشهيد الصحراء سوف يعود
انما مثلنا تود غـــذاءٌ تشتهى القوتَ وهوعنها بعيدُ

مرّ والشمس للغروب تهادى وتمشّى فى جوفها كخيال
أفقٌ اسبغُ تلوح عليه صور العابرين مثلَ الظلال !

أيها الراصلُ السُّرى فى فلاة يملأ الصمت جوّها والسكون
لاتسر فى الفلاة سيراً وئيداً تنيقظ عليك منها العيون
لاتسطر على الرمال رسوماً لا تعكر فيها صفاء الليالى
صفحاتُ الصحراء - لو رحتَ تدرى
صفحاتٌ مقرونةٌ بالجـــلال

ها هنا ليس للحياة مقام ها هنا ليس للحياة ربوع
كل شيء مستسلمٌ لفناء فتأمل كيف الحياة تجوع ؟

حيثما سرت لاترى من صديق مؤنسٍ ، غير ظلّك المشؤوم
لم ترتابُ فى الرسوم ومنها كله وطء رسمكَ المرقوم
لا خريف الصحراء - إن جاء يوماً
بخريف ، ولا الربيعُ ربيعُ

قد تساوت فيها الفصول ، وجاعت
فتأمل كيف الربيـــعُ يجوع
سكنتْ فى تلولها غانياتٌ باسماتُ الثغور، شُعْرُ الشعور
نشرها عبْقَ الجواءَ عبيراً فتروّحْ فى الجو نشر العبير

وكأن الواحات فيها حسان يترقبن أوبة الاحبـــاب
كلما أقعدَ المسافرَ يأس لوحت غادة له بالشراب
لاتروّعن ياحسان الصحارى انه ضارب لكن لقاء
ذرنه يبتغى الطريق قليلا أين يرجو فى داركن اهتداء
كم شباب فى القفر قد عصرته ؟ وأناس طوتهمُ الصحراءُ
رأت الارضُ والسماءُ ولكن
ماستجابت أرض لهمُ اوسماءُ

انما مثل غادة بسعرتها شهوات الأرواح والابدان
لاتحاول من الوصال فراراً هى مشتاقة الى انسان . . .
ان أحبتك يا مسافر فانزل فى حماها واهجع وخلّ الايابا
انها تعصر الضجيعَ ولا تزْ دادُ بعد الوصـــال الا التهابا
نام لايرتجى اليك ايابا وغفا ، لايعى من الاعياء
أنبئيها يارتج ان فتاها عشقتهُ عرائس الصحراء

لاتسحى الدموع حزناً عليه فشهيد الصحراء سوف يعود
انهـــا مثلنا تود غذاء تشتهى القوت وهوعنها بعيد

دير الزور خليل هنداوى

على مذهب ابن ابى ربيعة

ما هو الكون ؟ !

خلق الله للجمال قلوباً ... اجتباها من صفوة الشعراء
سكب النور فى قلوبهم السو ... دِ فعادت تموج بالاضواء
واستحالت مرائيا يعكس الكو ... ن عليها ما عنده من سَراء
واقفاً ناظراً محياه فيها ... فى غرورٍ كوقفة الحسناء !

ما هو الكون غير ذاك الضعيف الـ
ـحَوْل يسطو به على الاقوياء ؟
ماهوالكون غيرذاك الذى يشـ ... ـفى به الداء ، وهو عين الداء ؟
غير ذاك الذى عليه تَلاقى ... ضربات السرّاء والضرّاء
غير ذاك الذى به تعثر الدُّنـ ... ـيا على مرطها من الخيلاء
غيرذاك الذى به الحب والبغـ ... ـضاء بين الأحباب والاعداء
غير ذاك الذى به امتحن اللـ ... ـه قلوب العصاة والاتقياء
غير ذاك الذى يلوذ به النسـ ... ـل ويُغرَى الآباء بالابناء
غيرذاك الذى يصيربه الكو ... ن نعيما على بساط اللقاء
وهو ذاك الذى يصيربه الكو ... ن جحيما اذا طواه التنائى
غير ذاك الذى تجمّع فيه ... ما وعى حسنه من الاسماء
غير ذاك الذى اليه ومنه ... كل ماقى الوجود من أشياء
ما هوالكون غير فتنة حوا ... ء وما فى حواء من اغراء ؟
ليت شعرى أكان للكون معنى ... لو أتى آدم بلا حواء ؟ !

يا نهوداً كأنهن رِحاقٌ ... من بقايا صناعة القدماء !
تعبت جاذبية الارض فيها ... وأنيطت بها نجوم السماء !
وحلال العيون ليس بأشهى ... من حرام النهود تحت الكساء
وهما خير ما تكشف عنه الـ ... ـحسنُ من فتنة ومن اغواء
غير أن العيون أمضى رِقيًّا ... فى شغاف القلوب والاحشاء
غير أن العيون أذكى حريقا ... فى الشراسيف والصدور الدّواء
غير أن العيون أعصف بالقلب ... وأهدى فى مظلم الاهواء
غير أن العيون ألعب بالسحـ ... ـر وأقوى فى البعث والايحاء
غير أن النهود ابهج فى العين ... وأندى على القلوب الظّماء !

مُمتعة الطّرف ما يُمثله النهـ ... ـد من الحمس أو من الاعباء !
رافع الرأس دأبه يتحدّى السّمـ ... ـتر فى عزّة وفى كبرياء !
شيمة الحر لا يطيق احتمال الضّيـ ... ـم من ظالم من الرؤساء
يكرع الطرفُ جهده منه فى ما ... ءٍ شهى لكن بلا إرواء
سرق الروض من نَداه فاخفى ... بعض ثغّاحه من استحياء
هو سر الاسرار يستره الكو ... ن ويبديه فى تقًى وحياء !
حُلم فى عيون من أسعد اللـ ... ـهُ ونار فى أنفس الاشقياء !
فى فم العاشق المدلّه شهد ... حضرمى ، اوبابليٌّ طلاء
وحياة تمصها شفة الطف ... ل غذاء يفوق كل غذاء
نَغَم كلّه وسحر وشعـ ... ـر ومزيج من الندى والضياء !

عظمت دولة الجمال وعزّت ... وتعالى مافيه من اسماء
بعض اسمائه يضيع به الدهـ ... ـر فَناء وماله من فناء
نفذت من اعماقه حكمة البا ... ري وضاعت وساوس الحكماء
والسعيد السعيد من شمّ منه ... أرجا من حديقة غناء
والسعيد السعيد من شهد اللـ ... ـه على لوح نوره الوضاء

رب غاوٍ يلومنى فى نشيدى ... وهو لا ينتهى عن الفحشاء
... ...
خاشع الطرف مطرق الرأس يمشى ... بين خلين سمعة ورياء
يظهر الفكر وهو فى السر يغشى ... ما تندّى له جبين الحياء
وأنا الطاهر السراويل والبرْ ... دنتُ القميص عف الرداء
ليس منى الفسوق ، تأباه فى جسـ ... ـمى دماء الجدود والآباء !
ينهل الحسن من غرامى ولكن ... هو صديان يلتظى من إبائى !
كل حبّى طهرٌ وقدس وتسبيـ ... ـح لربّى وصيغةٌ من دعاء
أنا عبد الجمال حرّرتُ فى معـ ... ـبده مهجتى بلا استثناء
مهرقا فى محرابه ذوب قلبى ... ما تراه مضرجاً بدمائى ؟ !
أعبد الله فيـه : اقرأ فيه ... آية الاقتدار والانشاء
ان يكن فى الحدود جسمى فروحى ... تتهادى فى العالم اللانهائى !

نزيل القاهرة — على أحمد باكثير

(الرسالة) أثبتنا هذه القصيدة على علاتها تسجيلا للون من الوان الادب الحضرى

بين شاعر ومصور

مشروع زواج

بقلم محمد روحي فيصل

جلس الصديقان يتسامران بعد العشاء ، وقد انبسطت أعضاؤهما فرق الأرائك الناعمة الوثيرة ، يرسلانها على هواهما ، ثم يعبثان بما ينشأ عن دخان التبغ في الفضاء من متعرجات وأشكال . . .

وتلك ساعة حلوة عذبة ، تنشرح لها الصدور ، وتشرق فيها الوجوه ، وتنطلق فيها الألسن بالكلام ، وتجيش فيها القلوب بنوازي الحياة وشتى العواطف والأهواء ، وكلها تنزع الى الظهور والافصاح ، وتطلب السفور والاعلان من غير التواء ولا تحجب . وكان ضوء المصباح نحيلا شاحباً ، يضطرب كالمحتضر على جدران الغرفة الرحبة ، ثم لا يكاد يبين ما يزينها : من طنافس مزركشة وأسلحة مفضضة . إنما يبرز الى النصف بين الظلال الفاحمة رسم امرأة فتية قد اتخذت وضعاً مائلا نحو الأمام كأنما هي تتسمع صاغية ، وضاحة المحيا ، صبوحة الوجه في عينين زاهيتين ، وفم مطبق مرهوب تطفو عليه ابتسامة حيرى ذات معان !! وكان الكرسي الصغير والنعال الدقيقة المبعثرة دلنا وههنا توحي للخاطر بوجود طفل وليد في الدار ، ومن الغرفة المجاورة كانت تنبعث الحين بعد الحين أنغام شجية ، وموسيقى متسقة منسجمة ، إذ تهدهد الأم الرؤوم فتاها كي ينام . فيمتلئ الجو بالنشيد روعة وجمالا ، ويشيع فيه عبير اللذة والهناء ، فيصيح الشاعر مهتاجاً :

« لك الحق يا أخي أن تتزوج وأن تنعم بالزواج ، فليست سبل السعادة كثيرة متشعبة . إنها هنا على مقربة منا . . . يربك التمس لي فتاة أتزوجها ! »

المصور — أنا التمس لك فتاة ؟ ! تالله لن أخوض غمار ذلك أبداً

الشاعر — ولماذا ؟

المصور — تسألني لماذا ؟ فاعلم أن أصحاب الفن ما ينبغي أن يتزوجوا ، وما ينبغي أن يكون لهم في الحياة شركاء

الشاعر — يا للعجب ! تقول ذلك ولا تخشى أن يغور نور المصباح وتنقض على رأسك الجدران . إن حياتك الزوجية نصب ماثل للسعادة المنشودة والنعيم المقيم ! ومثلك فيما تزعم كمثل أولئك الأغنياء المترفين يكنزون المال ويضاعفون الثروة من آلام الآخرين وشقاء العاملين ، ويستطيبون نار الشتاء حين يذكرون البؤساء الذين لا مأوى لهم ولا نار عندهم !!

المصور — قل ما تشاء ، شبهي بما تهوى ، فلن أكون لك الا الصديق الوفي النصوح الذي يرى الخطر فلا يقف مكتوف اليدين متبلد الحس ، جامد الشعور

الشاعر — أراك تسرف في كره الزواج اسرافا كبيراً مع أني استروح أريج السعادة هنا كما أتنفس الهواء الطلق في الحقول !

المصور — نعم إني سعيد كما تقول ، أحب زوجتي حبا جما وأرى فيها وفي ولدي كل جمال الوجود والحياة . لقد كان زواجي مرفأ هانئا آمنا تحفه المياه الوادعة ، أقلي وما زال يقلني الى ما أصبو اليه من مواطن الراحة والسلام . وإنتاجي أحسب وسما ، ولعل خير رسومي قد أبدعتها في عهد الزواج . . .

الشاعر — وما بالك تنأى بي اذن عن عالم السعادة ؟

المصور — ها . . . إن السعادة التي أنعم في أحضانها انما هي أعجوبة من أعاجيب القدر ، لا يسمح بها الزمان ، ولا تجود بها الطبيعة على الناس جميعا . وأنا كلما أدركت ماهية الزواج فرحت لهذا الحظ الضاحك الذي حباني به الاله الكريم . فحالي تشبه حال من فطن للهوة السحيقة المخيفة بعد أن اجتازها فاعجب بشجاعته ومضاء همته ، وشكر الله على سلامته !

الشاعر — وما هي مساوىء الزواج يا أخي ؟

المصور — أولى المساوىء وأعظمها أن الاسرة تستهلك المواهب وتميت الأبداع ، وهذا أمره وجاهته بلا ريب في حياة الفن الجميل . يكون الزواج استجابة طبيعية للغريزة الكامنة الحمراء ، وقد يعلي شأن بعض الرجال ويوسع إطار خبرتهم ، ويدنيهم من الأرض والمدنية ، ثم لقد يكون ضرورة من ضرورات المهنة والمعاش . أما الفنانون من شعراء ومصورين ونحاتين وموسيقيين لا يتزوجون بالناس ولا يدخلون المجتمع ، وانما يعيشون على حافة الحياة يرقبونها عن كثب ويتأملون خطوطها والوانها ثم يسجلون مشاهداتهم ويبدعون آثارهم . فالمتزوجون فيهم على هذا ينبغي ان يكونوا قلائل نادرين

هذا « ديلاكروا » العظيم الذى تعجب به وتهيم برسومه قضى عمره الطويل أعزب يدب وحيداً بين جدران بيته . لقد خطرت البارحة على « شانروزاى » ومتعت النفس بحديقتها النضرة المتزهرة . إنه ظل عشرين عاماً يغدو بها ويروح لا مؤنس له غير هديل الحمام وتغريد العنادل . ترى ماقيمة إنتاجه لو كان أباً يهتم للكسب والأولاد ، يربيهم ويعنى بتعليمهم ، وقد يمرضون فيسهر على مداواتهم ولايتام ؟ !

الشاعر — ذكرت لى ديلاكروا مثلا ، فهلا ذكرت فكتور هوجو ... أتعتقد ان شؤون الاسرة قلت ملكاته وأخذت عليه سبيل الانتاج الأدبى الخالد ؟

المصور — انا لاأرى ذلك ابداً ، ولكن الفنانين المتزوجين ليسوا كلهم عباقرة تهضم الفن والعائلة قوامهم النفسية ...

الشاعر — ما عجبت لشىء عجبى لحكاية متزوج سعيد لا يحب لغيره الا العزوبة والوحدة !

المصور — ان الحكم الذى أضعه بين يديك ليس مصدره حياتى الخاصة ! إنما كونته عندى تلك الشرور القائمة فى كثير من الأسر التى عرفتها واتصلت بها . والباعث على الشرور التباين العقلى والنفسى بين الفنان وزوجه . أتذكر ذلك النحات الماهر الذى ترك الأهل والوطن وهاجر الى حيث لا يدرى مصيره أحد من الخلق ؟ لقد كان يعبد مهنته ويفنى فيها وقته وحواسه ، ولكن زوجه الذكية الحسناء كانت تريده على أن يحيط حسنها بهالة من الثروة والجاه ، فطفق النحات يكد ويعمل طوال عشر سنين ، وربما تدفع به وبنفسها فى بعض الأماسى الى الابهاء الرفيعة الارستقراطية تدخلهن واحدة بعد أخرى وتذيع فيهن مالها وبهاءها ، ولقد تقطع عليه عمله فى النهار لتزور ويزور صويحباتها ، ثم يرتادان معا أماكن اللهو ومجالس الأنس . ستقول إنه يستطيع لو شاء ألا يحقق مناها ، ولكن الزواج فى طبيعته يضطرنا إلى أن نؤثر جانب الرفق واللين على جانب الشدة والعنف . لاأنكر أن هواء البيت انما تتنفسه على الرغم منا ، ولو لم يكن فيه ذرة من القوة والمثل الأعلى لثقل علينا ضغطه وكثافته . ان الفنان ليودع فى آثاره كل مايملك من جهد وفكر ، ويجرد لهذا الغرض العزم والارادة ، ولكنه يقف من توافه الحياة موقف العاجز الضعيف ، يلين لزوجته حتى المهانة ، ويخنس لسلطانها حتى العبودية ، تأمره فيمضى فى صمت وتقول فيفعل فى هدوء . على انه قد يثور اذا اطرد الاستبداد واشتدت العبودية ، فهذه العصائب المانعة للنور ان هى عاقته عن الانتاج الفنى لايلبث ان يطرحها فى نفور كما فعل المثال المهاجر ، وقد حزنت الزوجة لهذه الهجرة الفجائية فتساءلت ، أأكون انا الجانية عليه ؟ هل من إساءة وخزته بها ؟ ، بلى ! انها لم تعمد الى الاساءة عمداً ، وانما جرت مع طبيعتها الطائشة الغريرة دون ان تفقه زوجها الحساس . فليس يكفى ان تكون المرأة ذكية حصيفة لتصلح شريكة الفنان فى الحياة ، بل ينبغى لها فى النزعات نكران الذات والتضحية بالنفس ، وهذا ما لا تجده عند امرأة جاهلة بهرتها لذاذات الدنيا وغشيتها الأنانية ! ! إنما يرغب النساء أن يكن رشيقات ساحرات ، وأن يتزوجن وجيه القوم كى يظهرن الى جنبه متأبطات ذراعه . فأما الفنان الصناع فلا يجد متسعا من الوقت حتى يتبرج محتالا كما يتبرجن محتالات فخورات ، أرأيت كيف تشق الأسر ويتناها الألم ؟ أعرفت كيف يسقط الزوج ضحية الجلاد الأعظم ... وبالأمس زرت « دار حنى » الموسيقار وكان يسمر مع خواته الكثر ، فطلبوا اليه فيما طلبوا أن يعزف على البيان ، فلما رجع لحنا سائغا طرب له الحاضرون وصفقوا أما تصفيق ، ولكن زوجته مالبثت أن شرعت تتحدث فى خفوت ، فما زال صوتها يعلو حتى ملأ الغرفة وشغل الناس ، فقطع الموسيقار لحنه ثم التفت إلى وهمس فى أذنى « هكذا تصنع معى على الدوام . انها لاتطرب للموسيقى . ! »

الشاعر — سهوت عن أمر جليل . إن الزواج يجلب الأنس ويطرد الوحشة والفراغ . وفى الحياة لحظات خطرة هى لحظات الخور والملال ، يتشاءم فيها الفنان ويشك فى نفسه وفى قيمة فنه ، فالمتزوج انما يرى بقربه قلبا حبيبا يبثه أشجانه وشكوكه . والطفل ؟ هذه الابتسامة البريئة التى تتألق على وجهه الغض ، أليست تعزى الشيخ وتجدد شبابه ، وكل ما يخسره الفنانون يربحه ابناؤهم من بعدهم . فهذه الشعرات البيضاء التى تتساقط فى المشيب يرونها مرتع سوداء متجعدة على رأس مستدير بديع

المصور — وكيف يستطيع الشيخ الواهن إطعام الطفل الصغير ؟

الشاعر — ..... وعلى كل حال فالفنان انما خلقه الله للزواج قبل ان يخلقه للفن ، فاذا لم يتزوج كان فى الدنيا كالمسافر الجواب قد أتعبه التشرد فسكن الى غرفة من غرف الفندق كتبت عليها هذه العبارة المبتذلة « للايجار ليلة أو شهر »

٢ - الدوق دى لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

أطاع الملكة مكرها ، ثم عاد إلى (فرتى) ينتظر تغير الحال ليحقق آماله الكثيرة . ومات ريشليو فى عام ١٦٤٢ ، فحفز لاروشفوكو للطالبة بثمن عطفه على الملكة ومساعدته إياها . وزعم أنه كان يكره هذا الوزير الذى كسر شوكة النبلاء ، فانه أنصفه فى مذكراته فقال : « فجعت الدولة فى هذا السياسى الكبير . كان عظيما فى مقاصده ، ماهراً فى إنفاذ خططه ، وقد ضمن بأعماله المجيدة الخلود لذكره »

هـذا الشاب الخيالى الذى عرف ريشليو كيف يكبح جماحه دون أن يقسو عليه ، أصبح أيام الوصاية على العرش يسعى وراء مصلحته الذاتية ليس غير .

الرجل الطموح

لما مات لويس الثالث عشر وأقيمت زوجه آن دوتريش وصية على ابنها لويس الرابع عشر ، فرح الملتفون حولها وتطلعت نفوسهم إلى تحقيق مطامعهم على يديها . ورأت هى منهم ذلك فجادت عليهم بالوعود وتركتهم فى آمالهم ينعمون ، ثم وضعت أزمة الدولة فى يد الكاردنيال ما زاران صنيعة ريشليو عدو النبلاء والعظاميين

المصور — ولكن هذا المسافر المتنقل لن يتذوق طعوم اللذات .

الشاعر — كفى ! لقد اعترفت بأن فى الدنيا لذات . . .

وبدا للمصور نهض من مكانه الى درج رسومه يلتمس منه كتابا مخطوطا باليا ثم عاد وقال : أما المناقشة على هذا النحو فلن تفيد أبداً . لقد بسطت لك رأيى ولكنك تأبى الا الزواج ، فهذا كتاب خطته يد متزوج سعيد لا يس أسر الفنانين ودرس ما يكابدون من أسقام ، ثم صور ذلك تصويرا طريفاً دقيقاً ، ولم يطبعه بعد ، فاقرأه بأمعان فهو رادك بلا ريب الى جادة الصواب . . . »

عن (أزواج الفنانين) بتصرف — محمد روحى فيصل

ولم تأبه لرغبات لاروشفوكو الذى أظهر الوفاء لها فى ظروف كثيرة ، وهو يقول فى مذكراته عن ذلك : « قضيت عشرة أعوام فى خدمتها ، وخاطرت بثروتى وحريتى فى سبيل راحتها وحريتها حتى قيل عنى إنى شهيدها . وكثيراً ما قالت لى إنها لا تجد فى البلاد ما تكافئنى به على ما قدمت من معروف » . ولكنها لما ملكت زمام الحكم نسيت قولها تمام النسيان

ولما يئس النبلاء من وعودها ، كونوا فيما بينهم جمعية سرية ترمى الى القضاء على سلطان الوزير مازاران واختاروا الدوق دى بوفور رئيسا لهم . وانضم اليهم لاروشفوكو اسما دون أن يوافق على سلوكهم وخطتهم ، وأصبح البلاط حزبين : حزب الوزير وحزب الدوق دى بوفور . ولأجل اكتساب عضد الملكة الوصية على العرش ، تقدمت الجمعية الى لاروشفوكو أن يرجو من الملكة إصدار العفو عن صديقتها الدوقة دى شفريز حتى تعود الى البلاد ، فاطاع لاروشفوكو وما زال بالملكة حتى أجابت سؤله وأمرته بالذهاب إليها حاملا هذا الخبر السار ، ففرح وقال فى نفسه « أجابت هذا الطلب ، وستجيب دون شك مطالبى الأخرى »

أسرع الى مقر الدوقة وأدلى اليها بما حدث فى البلاط أثناء غيبتها ، وربما منها أن تصبر على مازاران ، فان أرضى رغباتهما وحقق آمالهما تركته وشأنه ، وان أبى عليهما ما يطلبان شاكسته

ولكنها لم تكد تطأ أرض باريس حتى نسيت قول لاروشفوكو وحاولت عزل الوزير وإحلال أحد رجالها المسمى شاتونيف محله ، وجهرت برغبتها فى رد القوة إلى الأمر العظيمة التى تحبذ آراءها وترضى عن خططها . وقبل أن تقدم على عمل جدى ، افتضح أمر الجمعية وألقى القبض على رئيسها فى ٢ سبتمبر عام ١٦٤٣ وحبس فى فنسين ، وأمرت الدوقة بالاقامة فى تور . أما لاروشفوكو فلم يمس بسوء ، وكل ما أصابه فى هذه الحادثة أن الملكة أمرت بأن يعرض عن الدوقة ويخلص للوزير . ولكنه لم يذعن لأمرها ولم يجن من وراء ذلك نفعا

واستمر فى البلاط إلى عام ١٦٤٦ كئيب النفس وسط مسرات البطانة ومرحها ، وسعى سعى المجد إلى الحصول على إحدى الرتب العسكرية التى رفض قبولها من ريشليو ، ولكن سعيه لم يصب غير الفشل . فدفعه اليأس من بلوغ مقاصده إلى الاتصال بالدوقة دى لونجفيل التى تضمر العداوة للملكة . وهذه

الدوقة كانت شديدة الكبرياء مولعة بالمجون والاستهتار ، وقيل إنها أحبت أخاها الدوق رانجان حبا فيه إثم كبير ، وإنها كانت ترى فى هذا الحب البغيض طريقة تميزها من « القطيع الانسانى » . ولم يحبها لاروشفوكو ، بل تصل بها وأظهر كلفه بها ليستخدمها فى سبيل اغراضه . وهو لم يعرف الهوى المحرق كما تقول مدام دى سفنيه (١) وقد سمعه سجريه (٢) يقول : « لم أعثر بالحب إلا فى القصص الخيالية » .

وفى أغسطس عام ١٦٤٨ ، قامت ثورة فى باريس تعرف فى تاريخ فرنسا باسم La Fronde (ومعناها لغة : المقلاة التى يستعملها الصغار عندنا فى صيد العصفور ، وكانت شائعة فى فرنسا وقت قيام هذه الثورة فسميت باسم هذه اللعبة) ، ثم امتد الاضطراب إلى الريف ، وأشعل الفلاحون فى (بواتو) نار الشغب . وكان لاروشفوكو قد حصل على حكمها بفضل مكانة أبيه ، فقمع هذا الشغب قبل أن يستفحل ، ونال بعمله هذا إعجاب الوزير مازاران . ولكنه كان يسعى الى شىء آخر غير الاعجاب بعمله ، كان يرغب فى الحصول على لقب دوقة لزوجه وعلى الاذن له بدخول فناء قصر اللوفر فى عربة كآل روهان (وهم من سلالة ملوك بريتانيا) فلما خيب الوزير أمله ، انضم فى الحال إلى الثائرين على الرغم من رأى والده واسرته ، وأسرع إلى باريس لمقابلة الدوقة دى لونجفيل التى أعدت خطة لاضرام نار حرب أهلية . وقد حاولت أن تضم إليها أخاها الدوق رانجان الذى أصبح أمير كونديه بعد موت ابيه فى عام ١٦٤٦ ، ولكنها أخفقت لأن الملكة غمرته بالنعم الجزيلة ثمنا لمساعدته إياها

أخذ كونديه بعضد الملكة وأنقذ البلاط من الثائرين وأصبح صاحب الكلمة النافذة فيه ، فألحف فى طلب المال لنفسه والمزايا لأصدقائه ومن بينهم لاروشفوكو . وأجابه مازاران إلى ماطلب ولكن البلاء تقدموا إلى الملكة أن تلغى هذه المزايا فألغتها فى ١٠ اكتوبر عام ١٦٤٩ . وفى ذلك اليوم كتب لاروشفوكو فى كراسة يذم الوزير ويسخط عليه لأنه « قاوم طموحه مقاومة عنيفة » . وجملته الأخيرة تدل على روح البلاء فى ذلك العصر ، وبقيت هذه الكراسة مجهولة من الناس حتى عثر بها فكتور كوزان (١) فى أوراق كونررا (٢) ونشرها

ولما ضاق الوزير ذرعا بكونديه استعمل الخديعة حتى ألقى عليه القبض هو والدوق دى لونجفيل وقيد حريتهما فى الهافر ، وخافت الدوقة دى لونجفيل أن تصير إلى ماصار إليه زوجها فهربت إلى هولانده بمساعدة لاروشفوكو

وفى ٥ فبراير ١٦٥٠ مات والد لاروشفوكو ، فاتخذ من إقامة المأتم ذريعة إلى جمع كثير من البلاء والفلاحين والجياد (٧٠٠ نبيل ، ٨٠٠ فلاح ، ٢٠٠٠ جواد خطبهم واستوقد حماستهم لمحاربة جنود الملك . ولكن هؤلاء قهروا رجاله وأهلكوا زرعه ودمروا قصره فى (فرتى) . ويقول أحد أصدقائه أن لا روشفوكو لما بلغه خبر الدمار الذى أصاب القصر الناطق بعظمة أجداده ، اعتقد أن الدوقة دى لونجفيل ستقدر له هذه التضحية فى سبيلها حق قدرها ، وبعث هذا الاعتقاد فى نفسه سرورا كبيرا . وقبل انقضاء شهر فبراير هدأت الحال وأطلق سراح كونديه ومن معه ، وغادر مازاران البلاد حتى تسكن العاصفة

استرد كونديه حريته ولكنه أضمر الشر للوزير والملكة . ولما بلغ لويس الرابع عشر رشده فى ٦ سبتمبر عام ١٦٥١ ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة فخمة : فى قصر اللوفر لم يحضرها كونديه وأعوانه خشية أن تنال الملكة منهم منالا . وعرفت أخته الدوقة دى لونجفيل ميله الى اشعال نار الحرب الاهلية مرة ثانية ، فشجعته حتى سل سيفه فى وجه الملك

يتبع

حسن صادق

---

(١) ١٦٢٦—١٦٩٦ أديبة فرنسية فرحة المزاج عفيفة الازار واشتهرت فى عالم الأدب برسائلها الممتعة واسلوبها الشائق . وكانت تعجب بلاروشفوكو وتخلص له الود

(٢) ١٧٩٢ - ١٨٦٧ فيلسوف فرنسى نابه الذكر . كان أستاذا للفلسفة فى مدرسة المعلمين ثم فى كلية الاداب بباريس . ووجه عناية خاصة لدرس الفلسفة الالمانية وقامت بينه وبين هجل وشلنج صلات المودة . ونشر كتب ديكارت (١ مجلد فى ١٨٢٦) ونقل الى الفرنسية كتب افلاطون وشرحها (١٣ مجلد ١٨٣٣ وهو زعيم مذهب فلسفى يسمى المذهب التقادى الذى يقصد به إلى مزج آراء ديكارت بآراء كانت والمدرسة الاسكوسية واستخلاص مذهب جديد من هذا المزيج . ولكن هذا المذهب مات مع صاحبه . وقد ترك مؤلفات قيمة فى الفلسفة وتاريخها

(١) ١٦٠٣ - ١٦٧٥ . أديب فرنسى بروتستانتى للمذهب كان يجيد الايطالية والاسبانية . ومن صالونه الادبى ولدت فكرة الاكاديمى فرانسيز ولما أنشئت عين كاتم سر دائما لها . قضى حياته فى القراءة وكتابة مسودات . وعند موته ترك منها ما يملأ أربعين مجلدا حفظت كلها فى مكتبة الارسيناك

(٢) ١٦٢٥ — ١٧٠١ شاعر فرنسى رقيق العاطفة دقيق الحس ومؤلف مسرحى كثير التوفيق . وقد ظهرت له أول قصة تمثيلية (هيوليت) وهو فى التاسعة عشرة من عمره . وفى عام ١٦٦٢ انتخب عضوا فى مجمع العلماء ، ونقل إلياذة هوميروس الشاعر الرومانى الاكبر الى اللغة الفرنسية شعرا . وكان من اصدقاء لاروشفوكو الذين لازموه فى شيخوخته

العلوم

٤ — يسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

(تتمة)

سطح القمر

ثم جاءت الفوتوغرافيا فمكنت الانسان فى ساعة قصيرة مما كان يتطلب منه أياما طويلة ، وقدرته بمجهود أقل مركز قليل ، على مالم يكن يقدر عليه الا بمجهود قاس منهك كبير ، وكانت الفوتوغرافيا فى منتصف القرن الفائت فى أول نشأتها ، فكانت الخدمات الاولى التى أدتها الى علماء الافلاك منقوصة مقصورة . ولكن مالبثت أن تقدمت هذه بتقدم تلك ، ورقب بحاث السماء بحاث التصوير فاستفادوا من كل جديد ، وغيروا وحوروا من الطرق المستحدثة حتى تتفق مع حوائجهم ، وزادت تلك الحوائج وتضخمت حتى انفردت بمبحث خاص أسموه الفوتوغرافية السماوية Celestial photography هى اليوم من أهم الوسائل وأقرب الوسائط فى دراسة كل مايحدث فى العوالم الدوارة والشهب السيارة ، وللتصوير الشمسى فى دراسة النجوم والأقمار ميزات غير الميزة الظاهرة ترجع الى طبيعة العدسات واحساس الأفلام . فعين الانسان مثلا اذا حدقت فى شىء مباشرة أو بواسطة منظار فهى لاترى من هذا الشىء الا بعضا صغيرا من كل كبير ، لذلك كان الرسامون القدماء يرسمون القمر باقلامهم من خلال المنظار قطعة قطعة ، وخريطة خريطة ، ثم يصلون بين هذه الخرائط لتتم الوحدة ، وذلك لأن عيونهم لا تستطيع أن تبؤر Focus من المنظور الا منطقة قليلة ، أما عين الكمرة فأوسع من عين الآدمى وأشمل ، فنظرة واحدة منها تعدل نظرات المئات من الناس . وعين الكمرة يتراكم فيها أثر المنظور بتطاول الزمن ، وليس هذا لعين الانسان ، فأنت تنظر الشىء القليل الضياء فلا تراه ابدا أو تراه مبهما ، ولا تفيدك إطالة النظر اليه الا تعب العين فزيادة الابهام ، اما الأثر فى الكمرة فكيميائى فللزمن عامل فيه ، فكلما زاد التعريض زاد الأثر فبان الخفى واتضح المبهم . وقد رأت الكمرة وترى فى السماء أجراما عميت عنها النواظر . وعين الكمرة تحس أضواء من أنواع لاتراها العين ، فالعين لاترى الا المرئى من الطيف ، أما فوق البنفسجى وما دون الأحمر فلا ترى منهما شيئا ، وهى أضواء فى دراسة السماء لها خطر كبير تضطلع به الكمرة بكفاية محمودة

والقمر أول اجسام السماء التى اتجه اليها البحاث فى التصوير الفوتوغرافى ، اقترح ذلك أراجوا Arago عام ١٨٤٠ ولكن انفذه الدكتور درابر Draper فى نفس العام ، وكانت طريقة التصوير المعروفة عندئذ هى طريقة داجير Daguerre يستخدمون فيها لوحا من نحاس مفضض يحسسونه ببخار اليود والبروم ، ونجح بها تصوير القمر لأول مرة نجاحا خطيرا ، ولم يكن خطره فى حسن الصورة الناتجة وشدة وضوحها وكثرة تفصيلها ، فهى لم يكن لها ذلك ، وإنما كان خطره فى ان القمر أمكن تصويره من ضوئه ، فقد كان الناس فى شك من احتواء هذا الضوء على أشعة الشمس التى تؤثر فى أملاح الفضة

وجاءت طريقة التصوير بالكلوديون Collodion ، وهو النتروسليولوز مذابا فى كحول وأثير ، يضاف اليه يودور الصديوم أو البوتاسيوم مع قليل من البرومور ، ثم يفرش على الواح من زجاج تغمس فى الظلام فى حمام من أزوتات الفضة فيتكون عليها بذلك يودور الفضة وبرومورة وهما الملحان الحساسان . ، وكان لابد من تجهيز اللوح قبيل التصوير مباشرة . استخدم هذه الطريقة كروكس Crookes وديلارو De la Rue فجاؤا بصور أقصر زمنا وأوضح تفصيلا . ثم خطت الفوتوغرافيا خطوتها الثالثة فى التقدم فصنعت الألواح من الجيلاتين بدل الكلوديون فخرجت الى الاسواق ألواح جافة . ثم حلت الافلام محل الزجاج . ولا دراك الفرق بين طرق التصوير الثلاث الفائتة نذكر أن متوسط المدة اللازمة لتعريض اللوح فى طريقة داجير هى نصف ساعة ، وفى طريقة الكلوديون عشر ثوان الى خمس عشرة ثانية ، وفى طريقة الجلاتين ثانية الى جزء من مائتين من الثانية . والزمن له قيمته فى تصوير المتحركات ومنها الاجرام السماوية

وتتخلص نتيجة الفحص البصرى والفوتوغرافى فى تمييز أشياء ثلاثة على سطح القمر هى أظهر ما فيه

اما الشيء الأول فسلاسل من الجبال متباينة الاشكال ، بعضها بالغ العلو طويل السلسلة ، وبعضها مفرطح متصل يكون نجادا واسعة ، وبعضها متقارب الجبال متجمعها ، وبعضها كبير الميل عميق السفح رفيع القمة . وقد توجد فى الوديان تلال كالاهرام منثورة مبعثرة ، وقد تعلو وتميل بغتة حتى لتشبه أكثر مناطق الارض وعورة ، ومن أغرب ما فى تلك السلاسل جسور قليلة العلو الا أنها مسرقة فى الطول تمتد بين الجبال فتربط الكبير بالصغير والمجموع بالمنثور

أما الشيء الثانى فجبال ذات فوهات كالبراكين هى فى الواقع أخص مظاهر السطح ، وهى فوهات أوسع كثيراً من فوهات البراكين الارضية ، فجبل كوبرنكس Copernicus يبلغ قطر فوهته فوق الخمسين ميلا ، وتختلف تلك الجبال الفوهية فى مظهرها ، فبعضها فوهته كالحائط المستدير ، وبعضها تكسرت فوهته فظهر ما بقى منها كالجبال تجمعت فى استدارة حول حفرة الفوهة ، وبعضها عمقت حفرته أو ضحلت أو تقورت أو تقعرت ، وبعضها انخفض قاع حفرته عن مستوى الارض بظاهر الجبل ، وبعضها قاربه أو علا عنه كانه فنجان امتلأ ، وتعزى أصول هذه الجبال الفوهية القمرية الى مثل أصول البراكين الأرضية ، ومنها ما يركب بعضه بعضا كما تعلو الحلقة الحلقة ولا تطابقها ، فيقال ان الأوطأ كانت بسبب انفعال باطنى أقدم

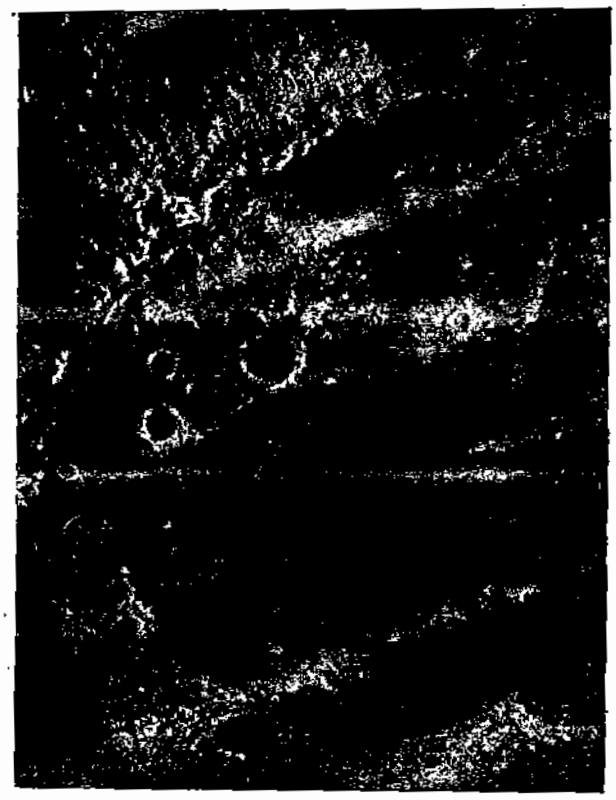

منطقة القمر التى اسميت قديما بالبحر الهيبين

ويميز الانسان على سطح القمر عدا ما فات اخاديد مستقيمة تستطيل فى الوديان فى اتجاه واحد فاذا انحرفت عنه فعلت ذلك بغتة وسارت فى استقامة جديدة ، فاذا اعترضها جبل فوهى قطعته ، فهى أجدّ منه ولادة ، واذا اعترضها

جبل عصى فقطع اطرادها ظهرت وراءه دون أن يختلف مسارها . أما طول الأخدود الواحد فقد يبلغ المائة ميل ، وأما عرضه فقد يزيد على الميلين ، وتعزى هذا الأخاديد فيما تعزى الى انشقاقات حصلت فى السطح وهو يبرد وينكمش

وتتميز على سطح القمر أيضا شعاعات تخرج من فوهات الجبال فتمتد مئات من الأميال لم يهتد الفلكيون بعدُ كل الاهتداء الى تفسيرها .

وكلما تقدم البحث فى القمر وزادت معرفة الانسان بأحواله خاب الرجاء القديم فى العثور على أثر من آثار أناسى مثلنا تسكن القمر . بالطبع لم يكن مرجواً أن نرى شخص انسان على القمر لقصور أجهزتنا الضوئية عن ادراك ذلك ، ولكن تلك الاجهزة تتبين على سطح القمر أشياء تقل اطوالها عن نصف ميـــل ، وإذن فلو كان على القمر ناس يسكنونه وفاتنا رؤيتهم فلا أقل من أن نرى آثارهم ، فالمدن لابد أن تكبر عن نصف ميل ، وهى لا شك تتغير خططها فتضيق وتتسع على الزمن ، وتمتد إن شرقا وإن غربا وإن شمالا وإن جنوبا وقد تطول وقد تستعرض ، وقد فاتنا ادراك شىء من ذلك بأقوى المنظارات . هذا على افتراض أن الانسان الذى يسكن القمر مخلوق على مثال انسان الارض فى حجمه وجرمه ، وهو افتراض لا تعززه طبائع الامور . فانا نعرف ان الجاذبية على سطح القمر أقل منها على سطح الأرض ، فهى تبلغ نحو الثمن ، فالرجل منا اذا نط على سطح القمر ارتفع الى نحو ثمانية أمثال ارتفاعه على سطح الأرض فمن اجل اتزانه يرجح أن يكون جرمه ثمانية أمثال جرمه على الأرض . وحكم مساكن الانسان على القمر كحكمه ، فهى إن كانت فلابد أن تكون كبيرة ضخمة لتتوافق مع ساكن ضخم كبير ولتثقل فتتزن على سطح القمر فلا تتدك من اهتزاز قليل . والمنازل الواسعة تؤلف لاشك مدنا كبيرة مديدة أكبر من مدن الأرض وهذا يسهل علينا مرآها ، ولكننا لم نر شيئا .

على أن كل الادلة تقضى بخلو القمر من الماء ومن الهواء ، وكلاهما لازم للحياة علت أو سفلت . والحياة كما نعرفها لا تكون الا فى درجات من الحرارة محدودة ، فهى لا تزيد كثيرا على الخمسين ، ولا تنزل كثيرا عن الصفر ، والمعروف عن القمر أن نهاره بخمسة عشر يوما من أيامنا ، يظل فيه فى مواجهة الشمس يأخذ من حرارتها فتعدو درجته المائة ، يتلوه ليل بخمسة عشر يوما من ايامنا يبرد فيه برودة دون ما تحتمله الحياة بكثير . فالحياة — كما نعرفها — لم يثبت وجودها على القمر ، لا عيانا ولا استنتاجا ، بل ثبت النقيض ؟

احمد زكى

احجزوا محلاتكم من الآن

على

الباخرة النيل

التابعة

لشركة مصر للملاحة البحرية

أولى رحلاتها من الاسكندرية لمرسيليا عن طريق نابولى ظهر يوم الجمعة ١٥ يونية سنة ١٩٣٤ وبعد ذلك كل خمسة عشر يوما

اسرعوا شراكم

من مركز الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة وفرعها بالاسكندرية بعمارة بنك مصر ومن مكاتب مصر للسياحة وكوك والانجلو امريكان وجميع مكاتب السياحة الاخرى

القصص

البلبـــل و الزهرة

لأسكار ويلد

ترجمة الاستاذ محمود الخفيف

صاح الطالب الشاب قائلا « وعدت أنها سوف تراقصنى إن أنا أحضرت لها وردا أحمر ، ولكن ليس فى حديقتى كلها وردة حمراء » .

فسمعه البلبل وهو فى عشه على شجرة السنديان وتطلع اليه فى دهشة من خلال الأوراق وأردف الفتى قائلا وقد اغرورقت بالدمع عيناه الجميلتان « لن توجد وردة حمراء فى حديقتى كلها ! آه . كم تكون السعادة رهينة بأتفه الأمور ! لقد قرأت كل ما كتبه العقـــلاء ووقفت على أسرار الفلسفة ومع ذلك أرى حياتى يكتنفها الشقاء من أجل وردة حمراء » !

وعندئذ قال البلبل « ها قد لقينا فى النهاية محبا صادقا . لقد طالما تغنيت بذكره الليلة تلو الليلة ولو لم أكن أعرفه . ولقد طالما تحدثت عنه الى النجوم . وهأنذا أراه الآن ! إن شعره فاحم كزهرة الخزامى ، وان شفتيه لتمثلان فى حمرتهما الوردة التى يطلب ، ولكن تواجده قد أحال لون وجهه الى لون العاج المصفار ، كما أن الأسى قد ترك طابعه فوق جبينه » .

وتمتم الطالب قائلا « سوف يقيم الامير حفلا مساء غد وستكون عشيقتى هناك ، فان أنا أحضرت لها وردة حمراء فانها ستراقصنى حتى مطلع الفجر ، وسوف تسند رأسها الى كتفى ، وتضع يدها فى قبضة يدى . ولكن ليس فى حديقتى وردة حمراء ، واذا فسوف أنزوى وحيدا ، وستمر بى عشيقتى فلا تأبه لى ، واذ ذاك يتحطم قلبى ! » ، وعاد البلبل الى حديثه قائلا « ها هو ذا محب وفى حقـا ! انه يشقى بما أترنم أنا به ، وان هذا الذى يعد مبعث الجذل عندى أراه عنده مبعث الهم والألم . حقا ان الحب لشىء عجيب ! ! انه أغلى ثمنا من الزمرد ، وأندر من تلك الجواهر المعروفة بعين الهر ، ولا يمكن أن يقوم باللآلىء ، كما انه لن يعرض فى الاسواق ، ولن يوجد عند تاجر أو يوزن فى ميزان الذهب » .

وقال الفتى « سوف تجلس جوقة الموسيقى فى البهو ، وسوف يعزف أفرادها على آلاتهم ، وعندئذ سوف ترقص عشيقتى على نغمات العود والقيثار ، وسترقص فى خفة حتى لن تمس أقدماها الارض ، وسيجتمع حولها رجال الحاشية فى ثيابهم الزاهية . أما أنا فانها لن تراقصنى ، فليس لدى وردة حمراء أقدمها اليها » ، وعندئذ القى الفتى بنفسه على العشب وغطى وجهه براحتيه واستسلم للبكاء فتساءلت حرباء خضراء ، كانت تجرى الى جواره رافعة ذيلها فى الهواء « ما الذى يبكى هذا الشاب » ؟ وشاركها فى تساؤلها فراش كان يرف فى شعاع الشمس . حقا ما ذا يبكيه ؟ « وأعقبتهما أقحوانة ، فهمست الى جارتها فى صوت خافت ناعم قائلة « فيم هذا البكاء » ؟

وأجاب البلبل قائلا « انه يبكى من أجل وردة حمراء »

فصاح الجميع فى دهشة « من أجل وردة حمراء ؟ ! . يالله من أمر مضحك » ، وصاحت الحرباء الصغيرة ضاحكة منه وفى عينيها معانى التهكم .

ولكن البلبل كان يفهم سر هذا الحزن فجلس صامتا على شجرة السنديان مفكرا فى الحب وما يكتنفه من أسرار .

وبينما كان غارقا فى تفكيره ، اذ بدا له فنشر أجنحته ذات اللون البنى ، وطفر تفع فى الهواء ، وعبر الحديقة كما يعبر الطيف حتى وقع بصره على شجرة ورد جميلة ، فحط على غصن من غصونها ، وصاح بها قائلا

« أعطنى وردة حمراء فأغنيك أحسن أغانى »

ولكن الشجرة هزت رأسها قائلة « إن وردى كله أبيض ، كزبد الموج فى بياضه أو هو أشـــد بياضا من الثلج الذى يكلل

قنن الجبال . اذهب الى أختى هنالك حول المزولة وستعطيك ما تطلب »

وطار البلبل حتى أتى تلك الشجرة فصاح بها

« أعطنى وردة حمراء فاغنيك أحسن أغانى »

ولكن الشجرة هزت رأسها قائلة « ان ورودى كلها صفراء ، تحكى فى صفرتها شعر الجنية التى تجلس على عرشها الكهرمانى ، أو هى أشد صفرة من زهرة النرجس التى يسطع لونها فى المرعى قبل أن يأخذها المنجل . ولكن اذهب الى اختى هنالك تحت نافذة الطالب ، وربما منحتك طلبتك ، فانطلق البلبل الى تلك الشجرة فخاطبها بقوله :

أعطنى وردة حمراء فاغنيك أحسن أغانى .

فهزت الشجرة رأسها قائلة «إن ورودى حمراء ، كقدم الحمامة فى حمرتها ، أو هى أشد حمرة من مراوح المرجان الهائلة التى تتماوج فى جوف الخضم ، ولكن الشتاء جمد عروقى ، والصقيع نثر براعمى ، والعاصفة قصفت غصونى ، ولذلك فسوف لا أدر وردة هذا العام »

فقال البلبل « ان كل ما أطلبه وردة حمراء واحدة ، وردة واحدة فقط . أو ليس من سبيل الى تلك الوردة » ؟

واجابته الشجرة قائلة «هناك وسيلة الى مبتغاك ، ولكنها جد مخيفة حتى انى لاأقوى على ذكرها » .

ولكن البلبل رد بقوله « هات ماعندك فلن أخاف شيئا »

وحينئذ قالت الشجرة « اذا كنت تريد وردة حمراء فعليك أن تبغيها بألحانك فى ضوء القمر ثم تفرغ عليها دم قلبك . عليك أن تغنينى ، وصدرك مسند الى شوكة من أشواكى ، وعليك أن تقطع الليل كله صادحا على أن تدع الشوكة تنفذ الى قلبك حتى يتدفق دم حياتك فى عروقى ويصبح لى »

وصاح البلبل قائلا « كثير أن أقدم حياتى ثمنا لوردة حمراء ، وحياة كل مخلوق غالية عنده . لشد ما يبهجنى أن أجلس فى الغابة الخضراء وأرقب الشمس تجرى فى مركبها الذهبى ، والقمر فى مخدعه اللؤلؤى . ماأجمل منظر الزهور فى عدوتى الوادى وعلى سفوح التلال ، وما ألذ النسيم ينشر فى الجو عطره الفياح . على أن الحب أحسن من الحياة ، وما قيمة قلب طائر اذا قورن بقلب رجل » ؟

ونشر البلبل أجنحته البنية وارتفع فى الجو وعبر الحديقة كالطيف ، حتى أتى الطالب فوجده حيث تركه لما يزل مستلقيا على العشب ، ولم تجف الدموع فى عينيه الجميلتين ، فوجه اليه الخطاب قائلا : (ابشر ايها الفتى ولا تحزن فسآتيك بالوردة الحمراء . سوف أبنيها بأغانى ضوء القمر ، وسوف أصبغها بدماء قلبى ، وكل ما أطلبه منك فى نظير ذلك أن تظل وفيا فى حبك ، فان الحب أكبر عقلا من الفلسفة ، وان اشتهرت بالحكمة ، وأشد سلطانا من القوة وإن اشتهرت بالبأس . ان أجنحته حمراء كاللهب ، وان جسده مشبع الصبغة من ذلك اللون المتوهج ، أما شفتاه فحلوتان كالشهد ، وأما أنفاسه فعطرات كالعنبر المتضوع .

ورفع الطالب رأسه مصغيا ولكنه لم يفهم ما قاله البلبل لأنه لا يفهم الا ما يقرأ على صفحات الكتب .

ولكن شجرة السنديان فهمت ماأعيا الطالب فهمه ، فاشتد حزنها لأنها كانت تحب هذا البلبل الصغير الذى بنى عشه فى أحضانها ، ثم توسلت اليه أن يغنيها أغنيته الأخيرة قائلة إنها سوف تعانى آلام الوحشة والعزلة لفقده .

فغناها البلبل أشجى ألحانه ، وكان صوته العذب كصوت الماء ينصب من إبريق فضى ، ولما فرغ البلبل من غنائه نهض الطالب وقد أخرج من جيبه ورقا وقلما وحدث نفسه وهو يسير فى ممرات الحديقة قائلا

« أما ان لهذا البلبل طريقة فى لحنه فهذا مالا سبيل الى انكاره ، ولكن ليت شعرى هل يصحب هذا اللحن شعور ؟ أخشى أن يكون هذا الشعور معدوماً ، واذا رجعت الى الحقيقة فهو كمعظم الفنانين . إن له أسلوبا ولكنه ينقصه الاخلاص لفنه . وانه لن يضحى بنفسه من أجل الغير . ولن يفكر الا فى الموسيقى ، وكل انسان يعلم أن الفن والأنانية صنوان ، وعلى أى حال فلن أستطيع أن أنكر عليه الحانا جميلة فى صوته ، ولكنها مع الأسف لا روح فيها وليس ثمة أية فائدة من ورائها » .

ودخل الفتى حجرته واضطجع على سريره مفكراً فى حبه وبعد هنيهة ظاله الكرى بجناحيه .

ولما أضاء البدر فى السماء طار البلبل الى شجرة الورد ، وأسند صدره الى الشوكة وجعل يغنى طول ليله والشوكة تنفذ فى صدره رويداً رويداً . حتى تدفق الدم من عروقه والبدر ينصت اليه فى هدوء .

غنى البلبل أولا عن الحب وكيف يولد فى قلب كل صبى وصبية ، وعند ذلك أسفرت وردة بديعة فى أعلى أغصان الشجرة ، وكانت تزداد ورقة فى إثر ورقة كما كان يرسل البلبل الحانه لحنا فى اثر لحن . وكان لونها أول الأمر شاحبا كلون الضباب الذى يطفو على صفحة النهر ، أو كقدم الصبح اذا تقدم يسعى ، أو كجناحى الفجر عند طلوعه ، كان كلامه حيال الزهرة فى مرآة فضية ، أو فى صفحة بركة ساكنة . ولكن الشجرة أهابت بالبلبل أن يضغط بصدره على رأس الشوكة قائلة : « أقبل بصدرك على الشوكة أكثر مما تفعل أيها البلبل الصغير والا أسفر الصبح ولما تتم الوردة .

وأطاع البلبل فاشتد ضغطه على الشوكة ، وكانت ألحانه تعلو شيئا فشيئا اذ أخذ يغنى عن العاطفة ، وكيف تنشأ فى نفوس الفتيان والأوانس . وهنا تمشت حمرة خفيفة فى الوردة ، حمرة أشبه بتلك التى تصبغ وجنة العروس عندما يطبع أول قبلة على شفتى عروسه ! ولكن الشوكة لم تكن حينذاك قد وصلت الى قلبه ، فبقى قلب الوردة أبيض ، فلن يصبغه بالحمرة الا الدم المنبعث من صميم قلب البلبل ولذلك صاحت الشجرة بالبلبل قائلة : أقبل بصدرك على الشوكة أيها البلبل الصغير والا طلع النهار ولما تتم وردتك » .

وزاد البلبل الشوكة ضغطا حتى مست قلبه فاشتد ألمه ، وكان غناؤه يزداد ارتفاعا كلما اشتدت حدة الألم ، كانت ألحانه تتجه اتجاها غير متزن ، اذ كان حينذاك يغنى عن الحب كيف يصل به الموت الى الكمال وكيف يضمه القبر ، فلا سبيل الى تغيره فى هذا المثوى الاخير .

وهكذا اكتست الوردة لونا قرمزيا ، سرى فى جميع اجزائها ، وكان صوت البلبل المسكين يتضاءل ، وكانت أجنحته ترف وقد مرت غشاوة أمام بصره حتى وصل لحنه الى صوت خافت وأحس بحشرجة فى حنجرته .

وأطلق البلبل آخر نغماته فسمعها القمر الوضىء ، فنسى مطلع الفجر وتلكأ فى صفحة السماء ، وسمعته الزردة الحمراء فاهتزت اهتزاز الغبطة ، وفتحت أوراقها لنسيم الصباح ، وحمل الصدى هذا اللحن الى الكهف القائم على سفح التل فبدد أحلام الرعاة وأيقظهم من سباتهم ، ثم سبح هذا اللحن خلال اليراع المتمايل على ضفة النهر ومن ثم اتخذ سبيله الى البحر .

وخاطبت الشجرة البلبل قائلة : هاهى ذى الزهرة قد تمت ، انظر بعينك اليها ما أجملها ، ولكن البلبل لم يجب فقد لفظ انفاسه وسقط جثة هامدة بين الحشائش ، والزهرة مغموسة فى صدره . وعند الظهيرة فتح الطالب نافذته والقى ببصره الى الحديقة فصاح قائلا « يالله من حظ سعيد هاهى ذى وردة حمراء . لعمرى ما رأيت وردة كهذه فى حياتى . ان جمالها ليميل بى الى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون لتلك الوردة اسم لاتينى طويل » ثم ذهب اليها فقطفها .

ولبس الفتى قبعته ، وجرى الى بيت الاستاذ والوردة فى يده وكانت ابنة الاستاذ جالسة لدى الباب تلف خيوطا من الحرير الأزرق وكلبها الصغير نائم عند قدميها فخاطبها الفتى قائلا :

« لقد وعدت أنك سوف تراقصينى اذا أحضرت لك وردة حمراء ، انظرى الى هذه الوردة انها أشد الورود فى العالم حمرة سوف تضمينها هذه الليلة على صدرك فى موضع قلبك ، وعندما ندور معا فى رقصتنا ستحدثك هذه الورة عن مبلغ حبى لك »

ولكن الفتاة عبست قليلا ثم قالت

« أخشى ألا يلائم لونها لون ملابسى ، وزيادة على ذلك فقد أرسل الى ابن أخى رئيس الحجاب بعض الحلى الثمينة وأظنك تعرف أن الحلى أغلى من الزهور » .

وصاح الفتى منضبا :

« لعمرى انك ناكرة للجميل » . ثم رمى بالزهرة فى الشارع فرت فوقها عجلة فتلاشت وأجابت الفتاة

« ناكرة للجميل » ؟ يالك من فظ ! ولكن قبل كل شىء اخبرنى من أنت ؟ ان أنت الا طالب فحسب ، وما أظنك قد اتخذت يوما رباط حذائك من فضة كما فعل ابن اخى رئيس الحجاب » ثم نهضت واقفة ودخلت المنزل .

وقال الطالب وهو يبتعد عن دارها ، ما أسخف الحب ، اين هو من المنطق وفوائده ؟ إنه لن يحقق شيئا ما ، ولن يحدثنا الا عما لا يمكن حدوثه ، وزيادة على ذلك فهو يجعل المرء يعتقد فى أشياء لا ظل لها من الحقيقة ، إنه فى الواقع أمر غير عملى ، وما دامت النزعة العملية هى كل شىء فى هذا العصر ، فانى سوف اتجه ثانية الى الفلسفة وأدرس العلوم العقلية .

وعلى ذلك اتجه الى حجرته وتناول كتابا كبيرا قد علاه التراب ، ففتحه وانكب عليه قارئا .

محمود الخفيف

النقد

حول الينبوع أيضا

الى الدكتور احمد زكى ابى شادى

أما أنا ، فانى أرى اللجاجة ليست تفيد ، وما كان مثلى يبغى الغرض ، وما كان مثلى يهوى التسرع ، وانما صح ما توقعت ووقعت الواقعة ، واذا أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور واضرابه من إخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك ، ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع ،

فأنا أعتذر للشاعر حدته فى الرد ، لان الشاعر أنانى بطبعه يأبى أن يسخف له الناس أثره ، ويكره من يبخس شيئا من قدره ، وأشكر له حسن ظنه بى ، ولا أبغى تسجيل هذه الكلمة عليه ، ثم أضرب صفحا عن الماضى بأجمعه ، وأعيد النظر فى ينبوعه من جديد ، وأؤكد له أنى قرأته مرة ثانية ، وأؤكد له انى حاولت أن أفهم ، وأعوذ بالله أن أزعم ان نفسه قد حلت فى جسمى ، فلست أعتقد بالحلول . ولا أزعم أن عواطفى قد اصطبغت بلون عواطفه فهذا أمر يسرف استحالته من الوجهة « البسيكولوجية » وأسأله العفو والمغفرة ان كفرت بقوله

كن انت نفسى واقترن بعواطفى تجد المعيب لدى غير معيب

الافراط فى أنانية الشاعر ، إذ كيف يعقل أن يتشابه الناس تماما فى المادة وفى الروح . وما تشابهوا ، لكن الشىء الممكن الذى أستطيع القيام به ، هو أنى حاولت أن أوجد التجاوب الروحى بين نفسه وبين نفسى ، مع أنى لم أحاول أن أخلق مثل هذا التجاوب من قبل ، فابن الرومى مثلا ، لا يوجد أقل تجاوب روحى بين نفسه وبين نفسى ، ولكننى معجب به لا لأنه يضرب على الوتر الحساس من قلبى ، ولا لأنه يهيج دفين آلامى وأشجانى ، بل لانى أجد فى شعره فنا رائعا لا أستطيع انكاره وبخسه . ولا سيما الدكتور مثلا آخر هوفيكتور هوجو Hugo فانا أرى فى شعره رأيا يخالف رأيى فى ابن الرومى وربما كانت نفسه أقرب الى نفسى من نفس بودلير CR Baudelaire ، الذى أعجب به اعجابا شديدا .

فليس من الحتم على قارىء الشعر ألا يستسيغ الا الشعر الذى تشابهت فيه نفسه مع نفس الشاعر ، فقد يحب وقد يكره ، ولكن هناك الفن الشعرى ، وهو الجامعة التى تؤلف بين القلوب ، وتوحد بين الامة ، وما أظن فى الناس الا الحمق يهزون أكتافهم اذا قرىء لهم شىء من الشعر الخالد الذى يتسم بصفات الفن الرائع ، ولو كان يخالف نظرتهم وفطرتهم :

إن من عادتى ياسيدى الدكتور أن أعمد الى الافكار التى تكون طراز تفكيرى ، والمبادىء التى أستند اليها فى تقديرى ، فاتناولها بين آونة وأخرى بالبحث والمراقبة والتشريح أبتر ضعيفها ، وأنعش هزيلها . وأنشط قويها . قلت . . . ربما كان رأيى فى شعر أبى شادى من القبيل الضعيف . فلأعد النظر وأؤكد للدكتور انى كنت قاسيا على نفسى حتى يرضى .

فاللهم جنبنى الشبهات ، وسدد سبيلى ، وحبب الى الحق لأتبعه ، ووجه روحى الى النور لأدرك كنه صفحات الحياة التى تلوح لعينى كروح فى ثوب صفيق من المادة . فاذا ابصرت بها واستهوتنى اندفعت بكل مافى نفسى من جموح ، لادرك سر تلك الروح .

الشعر مادة وروح ، وشعر أبى شادى كذلك . فما هى المادة التى تتمثل فى شعره ؟ لاشك أنها اللغة ، واللغة كما أعلم وتعلم هى الأداة المادية التى تشرح دخيلة الروح . ومع أن الدكتور قد جزم بأنى لست ممن يصاحون لنقد لغة شعره وقد استحسنها من قبل أساطين كمصطفى جواد وغيره . !! فأنا اسير من حيث بدأت ، فليست القضية قضية نحو وصرف وبيان وبديع ، بل قضية ذوق شعرى ولغة شعرية . واذا شئت فقل قضية فنية بحتة ، ويحسن بأولئك المدرسيين Classiqwe أن يتركوا الساحة قليلا ، ويريحوا الناس من الاعراب والبناء التقدير ، فهذا أمر تافه يدركه صبية المدارس ، وقد أفنى الاقدمون فيه كثيرا من الوقت والجهد ، وقد جاء هؤلاء فى آخر

أقع بنظرى على قصيدته التى أراد أن يفحمنى بها ، والتى أراد أن يبهر بها الناس فاقرأ :

نرى فى البر الوان التاجى وفى البحر المشارف والعميق

أو قوله :

كأن الحسن ذاب بكل لون تراه وفى المياه وفى الطريق

اللهم انى كافر بالشعر ان كان هذا من الشعر ، وكافر بأقوال مطران ان كان قد استحسن هذا القول مطران ، وكافر بالأدب ان كان فى رجال الأدب من يستسيغ هذا ويعجب به

أؤكد للدكتور أنى غير موفق فى انتقاء ما ينتقد . لكننى استعرض هذا وأمثاله . وقد يرى فيه مصطفى جواد أو غير مصطفى جواد منتهى الاجادة والبلاغة : أما أنا ، أنا الشاك الذى لم يتكامل التجارب الروحى بين نفسه وبين نفس أبى شادى ، انا الذى اسجل خطرات تتمتر منها نفس أبى شادى ، ما أزال أرى باللأسف فى هذا الشعر وأضرابه ضعفا شديداً . أرى فيه لغة صحفية ليست لغة فن ولا شعر ، أرى الاعياء الذى ما بعده اعياء فى التصوير والتعبير ! وتبدو لعينى فكرتى التى يسطتها عن لغة الشعر التى اقول فيها . انا افهم ان الشعر هو التعبير الراقى عن احساسات النفس ، (وما كل احساس يصلح ان يكون شعراً بل الاحساس العلوى أقصد) .

وعلى هذا الشكل فهم العرب الشعر . فقالوا عن القرآن اذ سمعوه انه شعر .

ان فى اللغة الشعرية سحراً وروعة وفنوناً وموسيقى ونغمات صوتية Consonance تراها فى شعر امرىء القيس كقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وتراها فى شعر عنترة ، او عمرو بن كلثوم ، وفى الشعر الغربى ما أكثرها فى شعر (ادكار بو Edgar Poe) او فى شعر (بودلير (Ch. Baudelaire) او فى شعر (فاليرى Valery) . وما كل كلام مفهوم بشعر ، ولا يكفى الشاعر ان يميز بين المنصوب والمرفوع ، وليس يكفى ان يعرف الشاعر البحر البسيط او الطويل او الرجز ، كل هذه قشور لابد منها ولا اهمية كبرى لها لبساطتها ، انما بيت القصيد فى تلك الروعة وذلك السحر ، او فى توقيع الموسيقى ، وفى تلاؤم تلك النغمات الصوتية ، وما فى شعر ابى شادى شىء من هذا .

... لغة الجرائد يا دكتور تعبر عن كثير من الآراء الصائبة والاخيلة الرائعة ، ولكنها تفعل فعلها فى وقتها ثم تنطوى تحت ذيل الزمن وتموت ، وما كان للشعر ان يكون مثلها ، إنك لا تستطيع أن ترى فى لغة الصحف روعة وسحرا الا نادرا أو إنك لا تزعم أن فيها فنا أخاذا . أما شعرك يا دكتور فهو شعر عربى فى كلماته صحفى فى فنه وتعبيره ، كافى بك تذكر حكاية ذلك الاعرابى الذى دخل إحدى الحواضر فسمع أهلها يتكلمون فما فهم شيئا . انهم يقولون كلاما عربيا ما فى ذلك شك . لكن أسلوب التعبير غير عربى . وكلامك يا دكتور فى شعرك لا يصطدم مع الفاعل ونائبه والصفة والتشبيه الا نادراً ، وجل من لا يسهو ، عربى فى الفاظه مفهوم فى عسر أو فى يسر ، لكن أين الفن الراقى فى التعبير فى مثل قولك ؟

هذه الدنيا لاحلام الاديب هذه غايات آمال الأريب ؟

أظن أن صاحب الملل والنحل لو امتد به الأجل ما قال قولته المشهورة (هذا شىء لا يعجز عنه انسان) الا فى شعر يشابه شعرك . لاعجب ياصاحبى هذا شان البحر ، فالبحر لا يقذف بالدر دائما ، ولكنه يقذف بالزبد فى كل حركة ، والانتاج الفنى الذى هو التعبير الراقى عن احساسات النفس لا يأتى عفو الخاطر ، فاذا تحدثت الى سيدى الشاعر عن اللغة افلا يجدر بى أن أحدثه عن روح الشعر وعن المناسبة الشعرية . وعن الظروف التى تستدعى قرض الشعر .

لا أكتمك يا دكتور انى ممن يلفون بنفسهم بينكم معشر الشعراء ، فى المتن أو فى الهامش ، لا أدرى ، لكننى من جماعتكم على كل حال شئتم أو أبيتم ، وما أكثر أمثالى بين الشعراء ، يكاد أحدهم يبعد عن محراق الفلك الشعرى زهاء مائة كيلو متر ، ويزعم بعد ذلك أنه من كبار الشعراء . أعذرنى فانا أنانى مثلك ، وانا عند ما احدثك عن أنانيتى يجدر بى أن أشرح لك شيئا من ذات نفسى كشاعر لا كنا قد . . . الموضوعات التى تستدعينى الى النظم كثيرة يا دكتور ، ونفسى دائمة الاضطراب والجموح . دائمة الحركة والثورة ، هى متمردة متقلبة ، ترى فى كل ساعة موضوعا للكتابة ، لكننى أكبح جماحها . أحول هذا الشعور الحاد الى اللاشعور ليتم نضجه ، فاذا فرغت منه انصرفت الى غيره ، ففعلت به ما فعلت بالأول ، وانا بين هذا وذاك أمزج بين الشعور المادى المتزن وبين الشعور الحاد الجامح ثم اكتب . وبعد ان أنهى عملى ادفعه واهمله ، واشعر ان عبئا قد زيح عن كاهلى ، أقبره لأنه لم ينضج ،

تمر عليه ايام كثيرة أتناوله فيها بالتبديل والتغيير والمسخ ، اوبالتهذيب والترتيب والتنسيق ؛ ولعلى ما اتممت شيئا حتى الآن ، فترضى عنه نفسى ، وكيف أشرح نفسى للناس ، وهم اجهل من ان يفهموها على وجهها ، وكيف أبرز للناس وما انا ممن يستطيعون التعبير عن مصائبهم وآلامهم وثورتهم ، حسبى أنى لم أعرض شعورى فكيف اعبر عن مشاعر الناس ، انهم يطلبون رعداً وبرقا ، وهم على حق فيما يطلبون ، فهناك وطن يقتسم ، وهناك بلاد يحتلها العدو والغريب ، وهناك شرف صار الى الرغام ، وهناك مجد قد أفل ، وهناك مجد الأمس وبؤس اليوم ، وتاج الاجداد ، وقبر الاحفاد ، وحق للشاعر ان يرعد ويبرق ، وان يدفع الغمام الساجى المدلهم ليمطر ، أما أنا فانى سائر فى طريق ، وأرجو أن أصل الى ما اصبواليه ، سأرعد وسأبرق ، وسأنفخ فى الرمم وسأصيح بالموتى ولكن ... ليس الآن ، عندما تهدأ نفسى من جنون الشباب ، عند ما يأخذ قلبى فى النظر العام الشامل ، فى ذلك الوقت استطيع أن ارضى نفسى وأرضى غيرى ، أما الآن فلا . وإن الجمهور ليطلب الى الشاعر بكاء ونواحا ، وبحمد الله الذى لايحمد على مكروه سواه ما أكثر شعراء البكاء فى بلادنا ، أما أنا فلم يبق فى عينى دمع انضح به شهوات الناس . انى غدوت كشبح متحرك يراه الناس فيحسبون فيه القوة والجبروت ، وأبصره أنا على وجه لا يرونه به . ماذا تبقى ياصاحبى ، انى أرى الناس ، بل كثرة الشعراء فى واد ، وانا فى واد ، إنهم يتكلمون عن السماء وانا اتكلم عن الارض ، انهم يتكلمون عن العالم باسره ، وانا لاأتكلم الا عن (حديقتى) . فاذا شعرت بهذا انصرفت الى ألغازى التى حيرتها ، وأوهامى التى نسجتها وصبغتها بألوان الجمال والقوة والحكمة ، فتعينى فى بلواى ، بل كيف اقذف بها الى الناس . وهيهات أن تلذ الناس ، ما انا بطامع فى رضاهم ، ولا انا خائف من شرهم ، خير لى أن أعيش فى حديقتى ، أبذر وأقبر وأنتج وأقتل ، حتى لا تستطيع اليد قتلا ، وحتى تضعف اليد عن حفر القبور .

أرأيت ياأدكتور كيف أبعد عن الغرض الذى اسعى اليه ، بل أرأيت كيف أسرف فى الشطط . فقد ارهقتك وأرهقت القراء بهذر من القول لاطائل تحته ، وانما هى أقوال تلوح لذهنى فاعلق بها على الرؤى التى تلوح لعينى ، ماكان اجدرنى ياأدكتور الا اكتب والا اثير حفيظتك والا اضطر نفسى الى الجواب ، ربما كنت بيدا كل البعد عن مذهبى فى الشعر ، فأنت تنحو فى شعرك ناحية تسكبها انسانية عالمية ، وانا أرى أن الحياة قبل التفلسف ، وعلينا أن نعمل للسير قبل الكمال ، وأن نعمل للحياة قبل الجمال ، وان نعمل للحركة قبل الفن - ان صح أن هناك فنا - وأن على الشعراء واجبا نحو وطنهم وأمتهم ، بل إن عليهم واجباً نحو انفسهم ، ماذا تستطيع النفس المقيدة الملجمة أن تنتج ، ربما فهمت قولى ياأدكتور وأولته على أنى معك على مذهبك . كلا : فانا لاارى الشعر كتاريخ لنفس الانسان : إننى ارى ان الشعر لايرسم الا الخطوط الأساسية من نفس الانسانية جمعاء ، وبقية الفنون والعلوم تلبس هذه الخطوط أثوابا فضفاضة من المادة والروح .

إننى استغفر الله ياأدكتور ، فما أردت سوءاً ، وما كنت مغرضا ولاناقما ، لكننى من خدام الحقيقة . اريد أن اقبس من نورها ولو نالنى من الناس ما اكره ، أنا لا أريد أن أبنى لنفسى ذكراً على أشلاء الناس ، ولكنى أبحث عن ضالتى المنشودة

على انى شاكر لك أن اتحت لى الانطلاق من جمود عميت ، ومن حيرة قتالة كنت أعيش فى ظلامها .

انى اتسلى لا اكثر ولا اقل ، انى أثير الغبار وسترى ماينجلى تحت الغبار .

حلب « المرتينى »

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر القسم الاول من كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقى الدين المقريزى . وقد قام على تصحيحه ووضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زياده المدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

ويقع هذا القسم فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير . ولا حاجة للتعريف بأهمية هذا المؤلف الكبير فان المقريزى ضمنه معلومات وحقائق عن دولتى الأيوبيين والمماليك بمصر قل أن توجد فى غيره من الكتب المخطوطة والمطبوعة

وقد طبع أجود طبع فى مطبعة دار الكتب على أجود ورق وثمنه ١٥ قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكردابى رقم ٩ بجوار سراى شريف باشا ومن المكاتب الشهيرة

الخيال الطارق

بقية المنشور على صفحة ٨٠٤

قبل أن يهجم ضوء النهار فيبدد ظلمة الليل ، وانى لحريصة على أن القاك ، فان كان لقائى يرضيك الآن كما كان يرضيك من قبل ، فانتهز فرصة كهذه الفرصة ، فى ساعة كهذه الساعة ، وانظر فى هذا الكتاب وأطل التفكير فيه ، فقد أستجيب لدعائك حينئذ . ثم سكت هذا الصوت قليلا ، واستأنف حديثه الحلو المر فقال : ليس السل وحده هو الذى قتلنى ، وانما قتلنى معه الحب ايضا ، فقد تذكر أن زوجى فارقنى قبل ان أموت بأشهر ، لأن مرضى المتصل قد ثقل عليه ، وقد تذكر انى كنت أظهر تجلدا وعزاء ، وقد تعلم أنى كنت اخفى من ذلك غير ما اضمر ، وانك كنت تشفق على مما كنت أخفيه . وكنت تود لو استطعت ان تسلينى عن بعض ما اجد ، فاعلم الآن انى حين ثقلت على العلة ، وتورمت اطرافى ، ورأى الطبيب ان ينزع ذلك الخاتم الذى كان آخر ما بقى لى من زوجى ، لم اشك فى انه سينزع معه الحياة من هذا الجسم المريض ، ولم اكره ذلك ، ورأى بأس من مفارقة العلة واليأس . فأبلغ زوجى أنى فارقت الحياة وانا أحبه ، وان مقامى فى هذه الارض بعد الموت لن يطول ، وأنه خليق ان يعلم انى أراه وارافقه ، وأنه خليق أن يرعى ذلك وان يذكرنى فى شىء من الخير والرفق والوفاء ، حتى اذا آن لهذا الخيال ان يصعد فى طريقه الى الله وان يمضى الى ذلك العالم الذى تعيش فيه خيالات الموتى ، وان تنقطع الصلة بينه وبين هذه الارض ، فلزوجى أن ينسى ، ولزوجى أن يقطع ما بين نفسه وبينى من الاسباب . قالت ذلك ثم نظرت الى نظرة قوية حادة ، لم استطع ان أثبت لها ، وإنما أطرقت برأسى الى الارض خائفا وجلا . ثم رفعت رأسى بعد ذلك ونظرت فلم أر شيئا ، وتسمعت فلم ينتبه الى صوت وانما هى رسالة الغفران مبسوطة أمامى أرى فيها عيث ابى العلاء حول شعر النمر بن تولب . هنالك أخذنى هلع ما أعرف انى احسست مثله من قبل ، ولكنى روع كاد يدفعنى الى الصياح لولا بقية من عقل ، وفضل من حياء ، ففارقت غرفتى وهبطت الى الحديقة أهيم فيها انتظر مطلع النهار ، حتى اذا ارتفعت الشمس قليلا أوصيت أهلى بما أوصيت واسرعت اليك . أترى بعد ذلك ان سخف أبى العلاء لم يسؤ أحدا ؟ قال ذلك ثم أخذته رعدة غريبة اشفقت أن ترده الى مثل ما كان عليه من الوجل والاضطراب ، فما زلت به حتى رددت اليه الامن والهدوء وقلت مداعبا : ويحك ! ألم تقرأ كتاب أناطول فرانس ذلك الذى سماه جريمة سلسفتر بونار ؟ إن فيه قصة انلم تكن تشبه قصتك هذه من كل وجه ، فانها قريبة منها الى حد ما ، وما أرى الا انك قد ذكرت صاحبتك هذه فى ضوء النهار او فى ظلمة الليل ، حتى اذا أخذت تنظر فى كتابك اخذك هذا النوم الخفيف الذى تتراءى فيه الأشباح والخيالات . قال مغضبا : اقسم لك ما كنت نائما ولا قريبا من النائم ، وإنما كنت يقظان أشد ما يكون الناس يقظة وانتباها ، ولكن ما نفع الحديث معك فى هذا وأنت لا تؤمن بعالم الخيال . قلت : فانى أشفق عليك من ايمانك هذا فقد تستطيع أن تتحول عن دارك ، وان تفارق القاهرة ، وأن تنزل من الارض أى منزل شئت ، فسيتراءى لك هذا الخيال كلما خطر له أن يتحدث اليك ، أو أن يحملك رسالة الى الاحياء . وماذا تريد الآن أن تصنع برسالته هذه ؟ أتحملها الى من أنت مكلف أن تحملها اليه أم تكتمها ؟ فان تكن الاولى فماذا تصنع إن لقيك باللوم لانك تعرض لما لا ينبغى لك أن تدخل فيه ، وان تكن الثانية فماذا تصنع إن ألم بك الخيال وسألك عن تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة والوفاء بالعهد ؟ هنالك نهض صاحبى مغاضبا وهو يقول : ما أشد بغضى للذين يمزحون فى غير أوقات المزاح . ثم انصرف عنى وانا شديد الاشفاق عليه وعلى كثير من امثاله الذين تطرقهم هذه الخيالات فتملأ قلوب بعضهم أمنا ورضى ، وتملأ قلوب بعضهم الآخر خوفا وروعا .

طه حسين

شفاء البول السكرى

بنباتات مصرية — للسيدات والرجال

يتشرف محلنا المؤسس فى سنة ١٨١٢ بلفت نظر الجمهور الى انه يوجد بالمحل دواء مركب من جملة نباتات خاصة لشفاء البول السكرى سواء أكان السكر فى البول فقط أو فى البول والدم معا (أرفق بطلبك اذن بوستة قيمة ١٠ قروش صاغ يصلك طلبك وطريقة استعماله حالا

ابراهيم ابراهيم شافعى

بوكالة أبو زيد بالحزاوى بمصر تليفون ٤٥٤٧٩